

كلمة صغيرة

أعلنت الإدارة الأمريكية مؤخراً قائمة بالدول المتهمة بالإرهاب أو التي تدعمه وبغض النظر عن مدى صحة أو عدم صحة الاتهام لتلك الدول، إلا أننا - ومعنا كل منصف - وبمنظرة موضوعية نؤكد أن ذلك التصنيف ناقص وغير موضوعي حيث لم يذكر فيه ما يلي:

- ١- دول عربية لها باع كبير في الإرهاب وعلى رأسها صربيا وكرواتيا.
- ٢- العدو لصهيوني أكبر دولة إرهابية مسؤولة عما يتعرض له الشعب الفلسطيني من اضطهاد.
- ٣- دول عربية لا يكاد يمر يوم إلا ويقتل رجال الأمن فيه أفراداً من شعوبها ، ولا يمر شهر دون أن تعلق الرقاب فيها ظلماً وعدواناً!
- ٤- دول أخرى تمارس الإرهاب ضد المسلمين مثل الهند وبورما والفلبين وتايلاند وطاجكستان!

إننا نعلم أن حقد الغرب وعداوته لأمتنا وديننا لن يجتمع مع العدل في سلة واحدة، وستظل قائمة الإرهاب تلك يداً تهز سنوياً أكتاف المخدوعين بعدالة الغرب!

وستبقى القائمة نفسها ناقصة يخرج منه كل إرهابي حقيقي مادام إرهابه لا يختلف مع سياسات ذوي العيون الزرق ومصلحهم من جهة أخرى؟!

الافتتاحية

ولكنه ضحك كالبكاء!

شهور طويلة متتابعة منذ مسرح مدريد حين انكمش الزعيم وتقبل صفعات الأسياد بكل امتنان ، إلى احتفال واشنطن حيث كان يتنفس نسيمات الفرح ويرش الابتسامات يميناً وشمالاً ، وحتى لحظات العبوس وقسمات الذل التي حملتها عدسات المصورين في لقاء التوقيع الأخير في القاهرة.

هذه الشهور الطويلة كانت عند صناع الحدث ضرورية للغاية كي تكسر باباً نسيجه الدماء والأشلاء ، يغذيه نزيف عمره نصف قرن ، وذاكرة تاريخية تمتد جذورها إلى متون أربعة عشر قرناً من حركة التاريخ ، حيث تتخللها صفحات عديدة سود ، تحكي عن حقد ممتد من خيانات بني قريظة وحتى كيد بني جنسهم من «يهود» الدونمة ، ويوقد جذوة ذلك كله آيات الكتاب المتلوة إلى قيام الساعة.

لقد كان هذا جميعه سداً منتصباً واقفاً، يمنع عابدي ذواتهم وعروشهم من الولوج إلى الحزن الإسرائيلي ، وتوقيع صكوك البيع بلا ثمن ، الذي قال عنه شاعر عربي يوماً:

ترقى العار من بيع إلى بيع بلا ثمن!

ومن مستعمر غاز إلى مستعمر وطني!

لقد بدأ البيع بثمن بخس في «كامب ديفيد» حين ابتلعت ثمنه «القطط السمان» سريعاً ، وكان من بعض آثاره التنموية أن يعم رفاه العيش تحت مستوى الفقر! أكثر من ٥٠ % من الشعب المصري ،

ويستوطن المقابر مليونان ممن أدركهم الرفاه! واليوم انتهى القوم إلى بيع بلا ثمن في القاهرة.. بلى كان الثمن توكيلاً رسمياً لمستعمر وطني قادم ، سيطلق رصاصاً حياً بالنيابة عن جيش إسرائيل وسينشيء دولة شرطة خالصة ، تضيف رقماً جديداً في سجل عام اسمه «الدولة ضد الأمة» وشعاره «إذا اختلف رأي الشعب مع حماقات الدولة وخياناتها فلا بد من تغيير.. الشعب»!.

ومع ذلك فليس ما تم إلا نموذجاً مُجسّداً لما هو قادم ، حين تنتقل «الدولة» في المنطقة من دور الممانعة السلبية للعدو الإسرائيلي إلى دور الشريك الأمني والاقتصادي ، الذي يقوم بمهمته في قمع الأمة ، وتجفيف منابع هويتها الحقيقية كي تموت روح المقاومة فيها ، وتقبل بعيش العبيد في ظل العصر الإسرائيلي المرتقب ، وستنتصب بالنيابة عن الصديق اليهودي في إنهاك كل عناصر الممانعة وتفكيكها والقيام بدور الوكيل الأمني في «صراع الحضارات» القادم!.

وكما تم سحق محاولات الشعوب لاستعادة هويتها الإسلامية زمن الحرب ثم المقاطعة من بعد باسم التفرغ لمواجهة إسرائيل ، ومن خلال لغة: «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» ؛ فإن الزمن القادم ينذر بوحشية أشد وإرهاب أعتى تمارسه الدولة ضد الأمة ، ولكن تحت لافتة جديدة وباسم: «لا صوت يعلو فوق صوت السلام»! ، ولا عجب فقد لحقت الحظيرة كلها بالثور الهارب الذي شجبت هربه في الأزمنة الخوالي!.

وها هي أقلام «مرتزقة السلام» تحدثنا عن انفراج الصراع ، بل يطالبنا بعضها بالتخلي عن الحقد والبغضاء! والنظر إلى الآخر «الإسرائيلي» بعين الرضا العمياء ، ولم لا؟! أليس شقيقنا القادم في أسرتنا الجديدة «الشرق أوسطية»؟!

غير أن «الشقيق» لا يقبل المنطق نفسه ، بل يزرع عيون السخط في كل زاوية ، ومن بين مطامعه التي يسعى إليها بجد في الحقبة القادمة ما صرح به «رابين» أمام أركان اللوبي اليهودي في أمريكا حول ضرورة تحويل الـ ٢٠ دولة عربية إلى ٤٠ دولة على الأقل في غضون السنوات العشر الآتية.

هذا الحلم.. يسعى «الشقيق» إلى تنفيذه على الأرض بدءاً من جنوب السودان حيث يدعم التمرد النصراني بكميات من صواريخ «ستنجر» ، ويستقبل بعض قوات «قرنق» لتدريبها في إسرائيل ، ومروراً بالجزائر حيث اكتشفت شحنة من الأسلحة مرسلة من إسرائيل في طريقها إلى الحزب البربري الأمازيغي الذي يدعو الناس إلى حمل السلاح ومقاتلة دعاة الإسلام في الجزائر ، وحتى تمويل الدراسات والمؤتمرات التي تنبش عن الأقليات العرقية والدينية في أرجاء العالم العربي ، وتؤجج فيها نوازع الانفصال باسم الدفاع عن حقوقها المهضومة!!

إنه بعض من «السلام» الذي لم يكن يعني في قاموس «يهود» إلا «السام»! أما اللام الزائدة فحسبها أن تكون طلاءً يخفي عورة العصر الإسرائيلي القادم ويعطي لأبناء سلول وابن العلقمي فسحة في الترويج لبضاعة الوهم ، وأحلام السراب عند أبناء أمتهم ، حتى وهم يرقصون على دماء الضحايا وأشلاء المصلين!.. وبنو «يهود» هناك يطّايرون بهم الفرح لما حققوه من سلام تحرسه قوتهم النووية ، ومستعمرون بالنيابة يغسلون أذى التطرف من طريق الهيمنة الإسرائيلية وأسواق تصدر خاماتها إلى «الشقيق» القادم بثمن بخس ، ومن ثم تستورد بقيمة الألف طن من خاماتها ما يعادل طناً واحداً تم «تعميده» في مصانع إسرائيل!.

ماذا بقي للأمة إذن؟! لقد بقي لها الكثير ، بقي لها أولو الأمر من علمائها الربانيين ، وذوي الرأي من صالحها المدعويين إلى جمع أمورهم ، فلا تكون شتى وأمر العدو مجتمع ، وإلى وعي الكيد ، فلا يكونون غائبين وعيون العدو تتفقد بشرر اليقظة والمكر ، وإلى أن يكونوا فاعلين قادرين على المبادرة ، فلا يقعد بهم اليأس وبين أيديهم بشارة الله بللتمكين ولو بعد حين.

ثم يبقى من بعد دور الأمة كلها في الخروج من ربكة الغفلة ، وإسار الخوف ، وقيود الشهوات.. أما الصراع فسيظل بعد ذلك وقبله صراع وجود لا يلغيه زمن السلام الممتد ، ولا عقود القران الاحتفالية المعلنة بين كفر أبي جهل ونفاق ابن سلول وتسيّد حيي بن أخطب!.. حتى وإن توالى توقيعات عابدي الذوات ، وشهد عليها عمالقة القوة العسكرية في العالم.

محاضرات إسلامية فقه النوازل والواقعات دليل على ارتباط الفقه بالحياة - ١ -

د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ

فضيلة الدكتور عبد العزيز القارئ أحد العلماء المعروفين عقيدة وعلماً ومنهجاً ، وهو عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وله العديد من الدراسات العلمية الجادة. وقد اخترنا له هذه المحاضرة المهمة في بابها مع تصرف بسيط يقتضيه مقام أن تكون مقروءة ، وقد أذن لنا فضيلته بذلك ونأمل من فضيلته المساهمة في هذه المجلة ببعض دراساته ومقالاته العلمية التي هي محل اهتمام ومتابعة الكثير من القراء.

- البيان -

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. أما بعد:

فقه النوازل والواقعات أحد موضوعات الساعة أبدأه بقول الرب عز وجل: ((يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب)) [سورة البقرة: ٢٦٩] ، قال مجاهد رحمه الله : «الحكمة: العلم والفقه والقرآن» ، وقال الإمام مالك رحمه الله : «وقع في قلبي أنه الفقه في الدين» ، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكماً فهو يقضي بها)(١) ، ويدل عليه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)(٢) ، فالخير كل الخير في الفقه في الدين ، ومن أوتي الفقه فحري به أن يعرف كتاب الله عز وجل ، وأن يعرف سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، وأن يذكر فإن التذكّر من شيع أهل العلم والفقه والفهم ، والفقه هو الفهم: فهم مرامي الكلام ومرادات الحديث ، قال تعالى في ذم المنافقين: ((فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً)) [سورة النساء: ٧٨] ، وقال سبحانه وتعالى منبهاً المؤمنين: ((قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)) [سورة الأنعام: ١٠١]. فهذا القرآن قد أحكمت وفصلت آياته ، وهذه سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- قد ثبتت ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولا يفقهون ، فكم من مرتل لآيات القرآن الكريم لا يفقه كثيراً مما يُرتل ، وكم من حافظ لحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يفقه ما يحفظ والفقه مراتب ، والفقهاء مراتب بعضهم أفقه من بعض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)(٣).

وأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وهم أصدق هذه الأمة إيماناً وأنقاها قلوباً وأغزرها علماً كانوا يتفاوتون في الفقه ، وهم في الجملة رضوان الله عليهم أفقه ممن جاء بعدهم ، يقول مسروق رحمه الله: «جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا كالإخاذ جمع إخاذة ، والإخاذة الغدير يقول: الإخاذة تروي الراكب والإخاذة تروي الراكبين ، والإخاذة تروي العشرة والإخاذة لو نزل بها أهل الأرض جميعاً لأصدرتهم» ، وكان عبد الله من هذه الإخاذ ، يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أي من تلك الإخاذ التي تروي أهل الأرض جميعاً لو نزلوا بها ، وقال أيضاً: شامت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: علي وابن مسعود وعمر وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي بن كعب ، ثم وجدت علم هؤلاء الستة انتهى إلى اثنين: إلى علي وعبد الله بن مسعود «فالفقه درجات والله سبحانه وتعالى يؤتي الحكمة من يشاء. والمقصود من هذه المقدمة حث شباب الصحوة على العناية بالفقه في الدين ، فإن الفقه هو الواجب وما عداه من العلوم أكثره نافلة.

حقيقة الفقه:

الفقه في الدين بنوعيه فقه العقيدة وفقه الأحكام هذا هو الواجب وما عداه من العلوم أكثره نافلة. قال تعالى: ((فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)) [سورة التوبة: ١٢٢] ، فهذه الآية دلت على مسألتين أولاًهما: أن الناس جميعاً بأمر الحاجة إلى الفقه لقوله (لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) ، فإذا كل قوم هم بأمر الحاجة إلى فقهاء في الدين يبينون لهم وينذرونهم ، والأخرى: أنه ينبغي أو يجب أن ينتدب أناس أنفسهم ، أو يُنتدَبُونَ للتفقه في الدين وبقصد أن يعلموا غيرهم (لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) ، فالتفقه بقصد تعليم الآخرين واجب كفاي بدليل أول الآية وهو قوله تعالى: ((وما كان المؤمنون لينفروا كافة)) ، فالتفقه بذلك القصد واجب كفاي ، أما التفقه بقصد معرفة الأحكام للامتثال فهذا واجب عيني على كل مسلم بقدر طاقته ووسعه.

وقفة مع ظاهرة جديدة:

أقول هذا ونحن نشاهد أبناء الصحوة المباركة قد انشغلوا عن الفقه بعلوم الصناعة الحديثة، من مصطلح وأساليب وتخريج وعلم رجال ونحو ذلك ، ولا شك أن علم الصناعة الحديثة علم شريف جليل الشأن والمقدار ، ولكنه من علوم الخواص ليس الخواص بالمعني الصوفي حاشا وكلا التي لا يشتغل بها العوام ولا صغار طلبة العلم ولا المبتدئون ، فإذا اشتغلوا بها عن الفقه فإنهم في الغالب يضلّون ويضلّون ، فلا بد من التفقه قبل ذلك ، وبخاصة أنه واجب قبل الاشتغال بمثل هذه العلوم على شرفها وقدرها ، وهذا ليس تقليلاً من قيمتها أبداً لكنني أشفق على المبتدئين من تبعتها، فالأمور مرتبة والواجبات مرتبة ، فالفقه أولاً في العقيدة وفي الأحكام الشرعية ، ومن نتائج الخوض في غير الأولويات أننا نشاهد نوعاً من الفوضى الفكرية تتخلل هذه الصحوة المباركة ، وإن كانت لن تؤثر فيها إن شاء الله.

نشاهد مثلاً أقواماً وإن كانوا قلة اشتغلوا بالجرح والتعديل لا لنصرة الدين ولا للذب عن السنة النبوية ، وإنما لزرع الشقاق بين أبناء العقيدة الواحدة.

ونرى أقواماً حملوا أختاماً يختمون بها على ظهور المسلمين ولا يتورعون في إصدار الأحكام مع قلة بضاعتهم ، وغلبة الأهواء عليهم.

نعود إلى مقصودنا وهو الفقه ، فمقصودنا بالفقه اليوم تحت هذا العنوان المذكور سلفاً ، هو ما قاله العلماء في تعريفه أنه: «الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية» ، أي فقه الأحكام.

والمراد بالأدلة التفصيلية كما يعرف غالب المتفقيين: الكتاب والسنة فهما المصدران الأساسيان ، ويلحق بهما الإجماع والقياس فإن لهما قوة إثبات الأحكام باعتبار أنهما يستندان إلى دلالات المصدرين الأساسيين: الكتاب والسنة، ثم يأتي بعد ذلك الاجتهاد، والاجتهاد أوسع مدلولاً من القياس فإنه قد ينحل إلى قياس سواء أكان جلياً أو خفياً ، أو ينحل إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المعروفة عند العلماء كالاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع ونحو ذلك ، وهذه الأنواع وإن كانت لم تعرف بهذه المسميات في جيل الصحابة لكنها مقتبسة ومستنبطة من فتاويهم واجتهاداتهم ، فمعانيها متشعبة بها عقولهم مغروسة في نفوسهم وملموسة من فتاويهم رضوان الله عليهم أجمعين.

مسألة مهمة حول الاجتهاد:

ولأن نصوص الكتاب والسنة محدودة والنوازل والوقائع والحوادث غير محدودة ، فمن هنا تأتي أهمية الاجتهاد.

وهنا مسألة لا بد من التنبيه عليها، وهي أن الاجتهاد في حقيقة الأمر ليس تشريعاً، بمعنى أنه ليس منشأً للحكم ، لكنه مظهر له، فالاجتهاد فهم لنصوص الكتاب والسنة، أو إظهار لحكم مسألة لم يجد فيها المجتهد نصاً فيجتهد في استخراج الحكم الشرعي لها بفهم نصوص المصدرين الأساسيين ولذلك كما سيأتي فإنه مقيد بأن يكون ضمن القواعد الكلية والأصول والضوابط الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة ، وأن يكون بواسطة إحدى دلالات الكتاب أو السنة المعتبرة لدى العلماء ، وذلك الاجتهاد حث عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه والأمة من بعده ، بل ودرب أصحابه عليه ، وأشرف عليهم مصوباً ومقوماً ، فمثلاً قال -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ بن جبل وهو واحد من أشهر وأفقه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما أرسله إلى اليمن ، (قال له: ماذا تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال معاذ: أحكم بما في كتاب الله ، فقال : فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال أحكم بما في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا ألو ، قال معاذ: فضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في صدري بيده وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله)، وقد تكلم بعضهم في سند هذا الحديث من جهة الجهالة في بعض أصحاب معاذ، ولكنها جهالة لا تضر ، فقد روي موصولاً من طرق أخرى ومن أراد التفصيل فليراجع «أعلام الموقعين».

وهكذا سن النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه وللأمة من بعده منهج الاجتهاد ، بل درب أصحابه على الاجتهاد وأشرف عليهم ، وقد اجتهدوا مثلاً بين يديه في فهم أمره صلى الله عليه وسلم: (ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) (٤) في غزوة بني قريظة، وكان اختلافهم مؤثراً فبعضهم صلاها في وقتها في الطريق وبعضهم أخرها وصلوها في بني قريظة ولم يكن اختلافهم في هذا الأمر لفظياً كما يقال في بعض الاختلافات ، ومع ذلك سكنت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الفريقين ، ولم ينكر على أي منهما ، فقلنا بذلك: إن من أدب الاختلاف أن لا ينكر أحد المجتهدين على صاحبه إذا كان النص محتملاً لفهمين ، نعم قد يكون أحد الفهمين أرجح أو أصوب ، ومع ذلك مادام ظاهر النص يحتمل الوجهين ، فلا يجوز أن ينكر أحد المجتهدين على صاحبه ، لكن عندما يشتط الفهم بمجتهد إلى فهم بعيد عن النص ، فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يصوب له فهمه ، وقد يلومه بأسلوب لطيف كما حدث مع عدي بن حاتم رضي الله عنه لما وضع خيطين أسود وأبيض تحت وسادته يفسر بذلك قول الله عز وجل: ((وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)) [سورة البقرة: ١٨٧]، فقال له النبي: «إن وسادك إذاً لعريض» (٥).

فالاتجاه إذاً مهم جداً، وعظيم الأثر في حياة الناس ، وعظيم الأثر في بيان الأحكام الشرعية ، لكنه يحتاج إلى ذكاء وإلى قريحة فقهية قوية ، وإلى فراسة وإلى فهم للواقع وإدراك للوقائع.. فمن لم يفهم الواقع ولم يدرك الوقائع وإن فهم الحكم قد يعجز عن التطبيق ، فالفقه في حقيقة الأمر في مجال الأحكام الشرعية فقه للحكم الشرعي وفقه للتطبيق ، وكان من أفقه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في التطبيق عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين ، هؤلاء كانوا أفقه وأبرز الصحابة في الفقه بعامة وفي فقه التطبيق بخاصة.

هذا هو فقه التطبيق:

وحتى نفهم فقه التطبيق إليكم هذه الواقعة ، التي هي من أوضح الأمثلة على فقه التطبيق، واقعة تسمى واقعة (زبية الأسد) ، وقعت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بعثه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن: روى الإمام أحمد في مسنده (٦) عن حنش بن المعتمر قال: بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن ، فأنتهينا إلى قوم قد بنوا «زبية» للأسد ، فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل ، فتعلق بآخر ، ثم تعلق رجل بآخر ، حتى صاروا فيها أربعة، فجرحهم الأسد، فانتدب له رجل بحربة فقتله، وماتوا من جراحهم كلهم ، فقاموا ، أولياء الأول إلى أولياء الآخر فأخرجوا السلاح ليقتتلوا ، فأتاهم علي على تهيئة ذلك ، فقال: تريدون أن تقتلوا ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- حي؟! إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي -صلى الله عليه وسلم- فيكون هو الذي يقضي بينكم فمن عدا بعد ذلك فلا حق له ، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثالث الدية ونصف الدية والدية كاملة ، للأول الربع ، لأنه هلك من فوقه وللثاني ثلث الدية ، وللثالث نصف الدية ، فأبوا أن يرضوا ، فأتوا النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو عند مقام إبراهيم ، فقصوا عليه القصة ، فقال: أنا أقضي بينكم ، واحتبى فقال رجل من القوم: إن علياً قضى فينا ، فقصوا عليه القصة ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد حكم علي رضي الله عنه في تلك النازلة بفقه عجيب دقيق: للأول ربع الدية ؛ لأن ديته حسم منها دية الثلاثة الذين تسبب في قتلهم لأنه لما تعلق برجل وتعلق الرجل برجل وتعلق ذاك برجل، وقع الثلاثة بسببه في الحفرة فحسم من ديته نصيب الثلاثة وبقي له الربع، والثاني تسبب في قتل اثنين فبقي له الثلث والثالث تسبب في قتل واحد فبقي من ديته النصف ، والرابع لم يتسبب في قتل أحد فاستحق الدية كاملة.

هل هناك مثال أوضح من هذا المثال في فقه التطبيق على أهمية معرفة الوقائع ومعرفة الواقع حتى ينجح المجتهد في التطبيق؟!!

ولما تعلم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الفقه في مدرسة النبوة بإشراف النبي -صلى الله عليه وسلم- ، واجهوا النوازل والحوادث والواقعات المستجدة بعقلية فقهية راقية وممتازة تدل ليس فقط على علم بكتاب الله عز وجل وسنة النبيص وعلم بأحكام الشريعة فحسب ، بل تدل على بصر نافذ وبصيرة ممتازة بواقع الحياة الذي كانوا يعيشونه، وبحقيقة الوقائع التي كانوا يواجهونها فبصرهم في ذلك بصر نافذ وبصيرتهم صحيحة، ولذلك برعوا رضوان الله عليهم أجمعين في فقه التطبيق مؤسساً على معرفة الواقع وكيف يطبق الفقه عليه ، وإدراك لحقيقة الوقائع وكيف يستخرج الحكم لها.

فقه الصحابة ومعرفتهم بالواقع:

قبل أن أسوق بعض الأمثلة من فقه الصحابة بالوقائع والنازلات التي استجدت عندهم، أمهد بهذه الحقيقة وهي أن الفقه مرتبط بالحياة بل الشريعة نفسها مرتبطة بالحياة، لأننا في هذا الصدد وفي هذا المجال أمام أمرين: أمام شريعة منزلة وأمام فقه يمثل فهم العلماء والمجتهدين لهذه الشريعة،

وكلاهما يكونان ثروة من الأحكام لا يستغني عنهما أحد أبداً، فالفقه مرتبط بالحياة. الحياة يجب أن ترتبط بالفقه ولا يزدهر الفقه إلا إذا كان مرتبطاً بالحياة، كما أن الحياة لا تزدهر إلا إذا كانت تحت سلطة الفقه والفقهاء ، فأما إذا كان هناك خصام نكد بينهما فإنهما يفقدان الازدهار، فالفقه يصيبه الشلل وقد يموت كما حصل في عصور الجمود والانحطاط ، والحياة يصيبها الفساد، والمجتمع قد ينهار بل ينهار فعلاً ويتفكك ، فالارتباط بين الفقه وبين الحياة ارتباط وثيق... ثم حقيقة أخرى: وهي أن الفقه الإسلامي لا يؤتي ثمرته المرجوة إلا إذا كانت جوانب الحياة كلها مرتبطة به خاضعة لسلطته. في أي مجتمع إذا كانت هناك جوانب من الحياة أو بعض مرافق المجتمع خرجت عن سلطة الفقه ، فإن الفقه لا يؤتي ثمرته المرجوة ، كما هو الحال اليوم في أكثر مجتمعات المسلمين، إذ أن هناك جوانب من الحياة لا تخضع للفقه وبخاصة الجانب السياسي ، والإعلامي وفي بعض المجتمعات لا يخضع التعليم أيضاً للفقه ، فإذا خرجت مثل هذه الجوانب الأساسية في المجتمع عن سلطة الفقه يفسد المجتمع ، ولكن الحقيقة الأخرى أن الفقه أيضاً ينقص ولا يؤتي ثمرته المرجوة لأن الفقه لا يزدهر إلا بالتطبيق.

الفقه ليس نظريات فقط:

والفقه الإسلامي ليس مجرد نظريات ميتة في الكتب فقط كنظريات الفلاسفة ، بل هو فقه للحياة لأن الشريعة التي أنزلها الله عز وجل أنزلها قانوناً للحياة ، فالفقه يواكب الحياة دائماً مرتبطاً بحركتها ، ويزدهر بهذا الارتباط يزدهر على أيدي القضاة وأيدي المفتين وأيدي المجتهدين الذين يتقون الله عز وجل في بيان الأحكام ، من أراد أن يتلمس أمثلة لهذا الازدهار في الكتب فليقرأ كتب النوازل وكتب الوقائع وكتب الفتاوى ، فعندما تقرأ مختصر الفتاوى أو مجموعها لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لو قدر لك أن تقرأ هذا المجموع كله فإنك تقرأ حياة كاملة بكل نواحيها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية... بل حتى الجغرافية ، ففي بعض الأجزاء جغرافيا لشيخ الإسلام ابن تيمية المناطق السياسية للعالم الإسلامي في وقته ، ما رأيت أعجب من كتابته تلك في تصوير حالة العالم الإسلامي من الناحية العقديّة والسياسية والاجتماعية في عصره: بين حال العراق وحال الشام وحال الحجاز ، وغير ذلك من الأقطار. فهذا كتاب من الكتب إذا قرأته ترى كيف يرتبط الفقه بالحياة ، كيف يواكب الفقه الحياة ، وفي عهد الصحابة رضي الله عنهم كان الفقه مرتبطاً بالحياة بالواقع لو سميناه فقهاً واقعياً أو فقه الواقع بهذا المعنى ، لصحت هذه التسمية ، ما كان الفقهاء يفترضون مسألة من المسائل أبداً بل كانت الواقعة تقع ، والنزلة تنزل فيسألون فتصدر الفتوى وإذا لم يجدوا نصاً في النازلة اجتهدوا في استخراج الحكم لها ، وربما كان الاجتهاد جماعياً.

وللحديث بقية...

الهوامش:

- * انظر أعلام الموقعين ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، تحقيق محمد عبدالسلام إبراهيم..
- (١) البخاري ، كتاب العلم ، ج ١ ، ص ٢٦ ، ح ١٥.
- (٢) البخاري ، كتاب العلم ، ج ١ ، ص ٢٥ ، ح ١٠ ، ١٣.
- (٣) أبو داود ، كتاب العلم ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ ؛ صحيح أبي داود ، السلسلة الصحيحة ، ح ٤٠٤.
- (٤) البخاري ، كتاب المغازي ، ج ٧ ، ص ٤٧١ ، ح ٤١١٩.
- (٥) البخاري ، كتاب التفسير ؛ مسلم ، كتاب الصيام.
- (٦) مسند أحمد ، تحقيق أحمد شاكر ، ج ١ ، حديث ٥٧٣.

مقال

من عوارض الإخلاص:
عبادة الذات

هيثم الحداد

إن من أشد الأمراض فتكاً بالأفراد والجماعات المسلمة ، انعدام الإخلاص ، بل يمكننا أن نقول: إنه سبب رئيس لتأخر النصر والتمكين ، وإنه السبب الرئيس كذلك لتفريق المسلمين وبعدهم عن الألفة والمحبة ووحدة الكلمة التي هي من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية.

ذلك أن عدم الإخلاص نوع من أنواع الشرك، فهو إشراك غير الله مع الله في نوع من أنواع العبادة ، وقد يكون هذا الشريك بشراً كما هو الحال في الرياء ، وقد يكون غير ذلك.

وتكمن الخطورة الشديدة لهذا المرض في عدة أسباب منها:

أن عدم الإخلاص محبط للعمل، فلا يجني العامل من عمله إلا الحسرة والندامة، قال تعالى: ((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً)) (١) ، وقال صلى الله عليه وسلم: (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب) (٢) ، فبذلك يخسر الإنسان الخسران المبين.

كما أن عدم الإخلاص في كثير من الأحيان مرض خفي، بل خفي جداً: (إياكم وشرك السرائر ، يقوم الرجل فيصلّي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الرجل إليه ، فذلك شرك السرائر) (٣) ، وصاحبه قد لا يتفطن إلى أنه مصاب به ، بل إن صاحبه يظن أنه يحسن صنعاً ، وهو من الأخسرين أعمالاً.

ومن أظهر عوارض الإخلاص وأشهرها الرياء الذي يمكن أن نعرّفه: بأنه العمل لأجل البشر ، وهناك عارض آخر يطرأ على الإخلاص لا يقل خطورة عن سابقه وربما يكون قسيماً له لكن قل من يتفطن له وهو عبادة النفس بأن يعمل العامل العمل لأجل نفسه.

فالمرائي يعمل العمل لأجل أن يقول عنه الآخرون ما يحب من الثناء وصاحبنا يعمل لأجل أن يقول هو عن نفسه... لأجل أن يرضي نفسه، حتى يحقق الصفة التي يصفه الناس بها.

فهذا الإنسان يأخذ من الليل ، ويصوم الهواجر ، ويكثر من الصدقة ويحسن معاملة بعض الناس ، ويبذل من وقته وماله الكثير في الدعوة ، وقد ترى عليه مسحة من الزهد متزيناً بالورع لأجل من؟ لأجل أنه فلان ابن فلان الداعية أو المربي أو الشيخ ، لا لأجل الله وحده ، ولا لأجل أن يلقي ثواب ذلك عند الله.

قد يكون هذا غريباً لا يمكن تخيله ، ولكنه عند التأمل واقع ، وواقع وللأسف بين صفوف بعض

المتصدين للدعوة وطائفة من المتعالمين ، ولكن كيف يمكن تشخيص هذا المرض؟

بادئ ذي بدء نقول: إن العلماء يعرفون الإخلاص بعدة تعاريف منها: أن يستوي حال الإنسان في الظاهر والباطن ، فالمخلص لله وحده يعمل العمل سواء أراه الناس أو لم يروه ، أكان له حظ من حظوظ الدنيا أو لم يكن له ، أكان له ميزة معينة أو لم تكن ، فليس له توجه إلا لله ، وليس له هم إلا الهرب من النار والفوز بالجنة ، فمهما تغيرت الظروف التي حوله فلن يزيد من عمله لأجلها وكذلك لن ينقص ، فالمخلص يعمل الطاعات سواء أكان هو فلاناً المربي أو الشيخ ، أو لم يكن (إن كان في

الساقطة فهو في الساقطة ، وإن كان في الحراسة فهو في الحراسة) وهذا معيار لمن أراد الكشف عن وجود هذا المرض الخفي في نفسه.

ولا يظن ظان أن العمل الدعوي هو المعرض للإصابة بهذا المرض فقط بل إن كل أعمال الإنسان من دعوة وغيرها معرضة للإصابة بهذا المرض ، لأنه يغزو القلب الذي هو منبع الأعمال وأساسها ، فمتى ما أصيب القلب أثر ذلك على جميع أعمال الإنسان البنيوية وغيرها ، حتى في عبادته الخاصة من صلاة وصيام وذكر ، فالمصاب بهذا المرض قد يؤدي كثيراً من العبادات ، وقد خلى قلبه من نية التعبد والتقرب إلى الله بها ، وحقيقة نيته وأصل دافعه لها أن هذه العبادات من صفات طالب العلم أو الداعية ، فلا بد من الإتيان بها لأجل أن تكتمل صورة هذا الداعية أو طالب العلم أمام نفسه ، كمن حصل على منصب ديني ، فإنه يبدأ بالإتيان بلوازم هذا المنصب من عبادات وغيرها ، فمن عيّن قاضياً مثلاً لا بد أن تكون هيئته هيئة طلبة العلم وسيماه سيماء العلماء ، فإن أتى ببعض السنن بناء على ذلك فإن دافعه ربما كان لتحقيق لوازم هذا المنصب لا نية التقرب إلى الله بتلك السنن. قد يقول قائل إن ما نتحدث عنه أمر لا يكاد يعرف، بل قد لا يظهر لكل أحد ، فعلاجه من الصعوبة بمكان ، فلا داعي للدخول في هذه التفاصيل ولنأخذ الأمر بكل يسر وسهولة.

وجواباً على ذلك يقال: موضوع النيات موضوع خطير جداً ، إذ هو أساس قبول الأعمال وردها ، فهو أساس الفوز أو الخسران المبين ، أي أنه طريق الجنة أو النار ، والجميع مقرون بأن أمره شاق ، بل شاق جداً ، وكما قال سفيان الثوري: «ما عالجت شيئاً أشد من نيتي فإنها تنقلب علي» ، وعن يوسف بن أسباط أنه قال: «تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد» (٤). وقد نقل عن بعض العلماء أنه قال: وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم ، ويقعد للتدريس في أعمال النيات ليس إلا، فإنه ما أتى على كثير من الناس إلا من تضییع ذلك(٥).

وقد تكلم الأستاذ «عبدالجليل حسن» عن هذا المرض في لمحاته التربوية من السيرة النبوية ، وأجد من نسبة الفضل لأهله أن أقتطف من كلامه ما يناسب الموضوع وإن طال لأنه أجاد فيه وأفاد. يقول: «ولمحتنا التربوية التي نشتمها من هنا هي التفرقة بين عبادة الله وحده الذي لا شريك له ، وبين عبادة أنا ، التفرقة بين الحق الذي لا مزية فيه سواء أكان هذا الحق الذي أتى على يدي أو على يد غيري ، سواء أكننت أنا فيه أو كان غيري ، وبين الحق الزائف الذي يكون فيه أنا وأنا فقط، فإن كان غيري فهي الردة والنكوص والهلاك والخسران، إنها التفرقة بين عبادة الله وعبادة أنا ، أو بين عبادة الله وعبادة النفس من دون الله.

إن كثيراً جداً ممن ينتسبون إلى الدعوة الإسلامية اليوم يتعاملون مع الدعوة ورجالها بمنطق أبي عامر(٦) ، فهو لا ينشط في دعوته إلا إذا كان هو صاحب الإمارة وصاحب المنزلة، صاحب التوجيه، صاحب المقام في قلوب الخلق هو القائل، وهو المتحدث، هو القائد... المهم أن يكون هو وهو فقط ، فإذا كان الأمر كذلك كان النشاط والحركة ، والدعوة والهمة العالية، العمل الدائب وربما يغلف كل ما سبق من عمل وحركة بشيء من التواضع، والزهد الزائفين فإذا اهتزت في نفس هذا النمط من الدعاة (أنا) فوجد نفسه نزل من موضع إلى موضع، أو سبقه من هو دونه، أو لم يحز ما ترنو إليه نفسه، انقلبت الأمور وهدأت الحركة، وانطفأت شعلة النشاط، وبردت جذوة الأمل، وانكفأ إلى بيته، وعلى أحسن الأحوال أخذ إجازة من الدعوة ، تتم عن غضب ومشاحنة ينطوي عليها الصدر، وقد يسوء الحال عن ذلك، فتكون الردة والنكوص عن الطريق كله ، بحجة أن الجماعة قد انحرفت عن خطها الصحيح ، وهو لا يرضى هذا الانحراف ، ثم يبدأ البحث كما يزعم عن طريق آخر فيه أنا وأنا فقط».

«أخي الحبيب: إن لنا في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة ، فلا بد لنا من وقفة صادقة مع النفس لتتوجه من جديد إلى الله ، إلى الله وحده لا شريك له ، إنه صفاء الابتداء، فمن خانه ذلك وكان في النفس شيء فليبدأ من جديد، بتوبة صادقة، ونية صادقة ، على ألا يكون في القلب والنفس إلا الله وحده لا شريك له ، إن كل ما سوى الله من غايات إنما هي أقذار وأحوال وعفن وعطب يصيب القلوب فتَهْلِك وتُهْلِك، فيبعد النصر ويطول الطريق، فمن كان يريد السير إلى الله عز وجل في دعوته المباركة فلا يتطلع إلى شيء، ولا يعمل بشرط أن يكون كذا وكذا ، ولا ينظر إلى تقدم أو تأخر ولا يرسم لهدف في النفس لا يعلمه إلا الله».

" «إن السعادة والسداد والفوز في الدارين ، والتقدم والفلاح إنما هما في توجه النية دائماً إلى الله وحده لا شريك له، دونما التفات إلى ما سواه، ولو كنت ذنباً في الحق وأنت على ذلك خير لك من كونك أميراً مطاعاً ورأساً مرموقاً وأنت على غير ذلك ((كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون)) (٧) » (٨).

إذاً فمن أنجع أساليب علاج هذا المرض والكشف عن الإصابة به المحاسبة والمراقبة الدائمتين، ليسأل الإنسان نفسه دائماً، ويفتش عن حقيقة دافعه للعمل أي عمل ولا يتسامح أو يتساهل مع نفسه، وبخاصة في أمر النية والباعث على العمل، إذ مدار الثواب والعقاب على صلاح النية وفسادها وليعلم أن معالجة أمر النية من أصعب وأدق الأمور كما تقدم.

لكن هنا ينبغي لنا أن ننبه على أمر قد يقع خلط بينه وبين ما نحن بصدد فقد يفعل الإنسان أموراً لا يفعلها إلا لأجل أن الناس يقتدون به، ولو لم يكن في موضع القدوة لم يفعلها، وهذا أكثر ما يكون في باب التروك، وقد تحدث العلماء عن هذا فرغبوا لمن يقتدى به أن يترك بعض الأمور خشية أن يعتقد الناس فيها ما ليس بصحيح.

وما نحن فيه ليس من هذا الباب وإن كان الفرق بينهما دقيقاً ، فمن يقتدى به ، إذا فعل أو ترك أمراً كي يقتدي به الناس فعلاً أو تركاً إنما يفعل ذلك حتى لا يكون هو سبباً لوقوع الناس في الحرام ، أو سبباً لترك الناس المستحب أو الواجب فيعاقبه الله على ذلك كما يعاقب فاعل المحرم ، إذ الوسائل لها أحكام الغايات.

فالغاية النهائية لمثل هذا هي الدلالة على الخير لأنه سبب لمرضاة الله ونيل ثوابه، والتحذير من الشر، لأنه من أسباب سخطه ونيل عقابه.

لكن صاحبنا الذي سبق الكلام عنه هنا لم ينظر إلى الآخرة، ولا إلى الثواب أو العقاب، وإنما غايته النهائية تحقيق منزلته عند الناس.

وكذلك نيته هنا إلى الفرق بين الشعور بالمسؤولية إذا أُلقيت على الإنسان ومن ثم النهوض بأعبائها، وبين هذا الذي نتحدث عنه، فعمر بن عبدالعزيز كان غاية في التمتع والترفيه، حتى إذا ولي أمر المسلمين أبدل غاية ما فيه من تنعم وترفيه بغاية الزهد والتقشف، فالفرق كبير، فإن الذي دفع عمر بن عبدالعزيز لذلك القيام بالمسؤولية التي امتحنه الله بها، ذلك أن القيام بها كما أراد الله يستلزم انشغالاً بمصالح المسلمين عن مصالح نفسه، وورعاً في المال الذي وكله الله عليه، وعبادة يستعين بها على القيام بأعباء هذا الواجب الثقيل، فمقصده النهائي طلب مرضاة الله بالنهوض بما أوجبه الله عليه ، والقيام به على أتم وجه.

فإذا حُمِّل أحد من الناس أعباء أو تكاليف منصب ما ، فالواجب أن يبذل غاية ما في وسعه للقيام بهذا الواجب الذي تحتم عليه ، فما من شك أن ما أوجبه الله عز وجل على من يتحمل أمراً من أمور المسلمين ، ليس كما أوجبه على آحاد المسلمين ، وعليه فلا بد أن يكون عمل ونشاط وحركة الأول أكثر من عمل ونشاط وحركة الثاني بكثير ، إذ لا يتم له القيام بذلك الواجب إلا بهذا اللئيم من

العمل والحركة ، فعلى كليهما أن يقوم بواجباته طلباً لمرضاة الله ، وتخلصاً من إثم الإخلال بحقوق الله وحقوق الناس.

إخواني الدعاة وطلبة العلم: إن أخشى ما أخشاه على أنفسنا أن نأتي يوم القيامة، وقد أخذ كل مكانه من الجنة بمن فيهم من كنا نظن أنه أقل رتبة منا ، ثم لا نجد مكاناً لنا لأننا لم نمهد لهذا المكان بعمَلنا ، ولم يكن الهرب من النار وطلب مرضاة الله حادينا إلى العمل، بل كانت دوافعنا إما حزبية من باب تكثير الأتباع ، أو من أجل التصدر ، أو غير ذلك، فאלله الله في أنفسنا وفي قلوبنا ولنندعُ الله أن يجعل همنا في أعمالنا الصالحة التقرب إليه إنه سميع مجيب.

الهوامش:

(١) سورة الفرقان: ٣٣.

(٢) رواه ابن ماجه ، وهو صحيح ، صحيح الجامع ٣٤٨٨.

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

(٤) جامع العلوم والحكم ، ص ١٠٠٩ ، طبع مصر.

(٥) عن مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ، ص ٥.

(٦) أبو عامر هو عبد بن صيفي بن النعمان، وهو والد أبي حنظلة غسيل الملائكة، وكان أبو عامر ترهب في الجاهلية وكان يقال له أبو عامر الراهب لكثرة عبادته، وكان سبب ترهبه أنه سمع بأن زمانه زمان نبي فأراد أن يهيء نفسه للرسالة، لمحات تربوية من السيرة النبوية، ص ٨؛ وانظر السيرة النبوية لابن هشام، ٥٨٤٥٨٦، طبع مصر.

(٧) سورة القصص: ٨٨.

(٨) لمحات تربوية من السيرة النبوية ، ص ٨١٠.

دراسات في الدعوة

حتى لا يتوقف عطاء الدعوة

فيصل البعداني

يشاهد المطلع على أحوال الدعوة إلى الله تعالى ممن يعانون من الفقر وقلة ذات اليد وهم كثو في عالمنا الإسلامي ظاهرة انتكاس بعضهم عن الطريق ووجود فتور كبير لدى عدد ليس بالقليل منهم.

ونظراً لخطورة هذه الظاهرة على مسيرة العمل الدعوي ، وما تدل عليه من ضعف الثقة بالله عز وجل ، وعدم الرضا بالقضاء والقدر ، بالإضافة إلى الجهل بسنن الله عز وجل في المنع والإعطاء... بادرت مستعيناً بالله تعالى في كتابة هذه السطور محاولاً إلقاء الضوء عليها ، راجياً أن تتضح الرؤية لأولئك فيعود من ضاع منه الطريق ، ويقوى على السير من لبث في مكانه وفتر عزمه ولم يواصل المضي ، عسى أن تكون كلماتي عامل تقوية وتثبيت لبعض من تتحرش بهم شياطين الجن والإنس ، وتكاد ضغوط المعاناة وشدة الواقع أن تأتي عليهم ، فتقعدهم عن مواصلة المسير في سبيل الدعوة إلى الله.

وسيكون الحديث بالأصالة متجهاً إلى من يعيش الأزمة ويكتوي بنارها كما أن جزءاً منه سيكون موجهاً لإخوانهم الموسرين الذين يشارطونهم حمل هم هذا الدين ، وهم على معرفة بأحوالهم وشدة معاناتهم.

من تلك حاله كيف يصنع؟

- وبما أن الأمر في ذلك وارد على كل داعية إلى الله ، فلا بد أن يوطن الداعية نفسه على الآتي:
- ١- أن يتذكر أن الله يبتلي عباده بالغنى والفقر ، فيوسع على بعضهم في الرزق ، ويهيبهم من عظيم خيراته الشيء الكثير ؛ لكي يقوموا بواجب الحمد والشكر له ، ويمنع سبحانه بعضهم من تلك السعة ، ويقدر عليهم رزقه؛ لكي يقوموا بواجب الصبر وكمال الرضى ، فيوفق للحمد والشكر من الأغنياء فريق ، ويتجبر الفريق الآخر منهم ويطغى كما قال تعالى ((كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى)) [العلق: ٥٦] كذلك حال الفقراء حيث يوفق للصبر والتسليم والرضى بالقضاء طائفة منهم ، وتنتج الأخرى إلى التسخط والجزع ، بل وربما إلى ممارسة كسب المال من طرق غير مشروعة.
 - ٢- معرفة أن الله عز وجل قد تكفل برزق الخلائق كما قال تعالى: ((وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)) [هود: ٦] ، وما تكفل الله به فلا خوف من تأخره أو ضياعه وعدم وصوله ؛ ولهذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه الذين تعرضوا له بالمسألة رجاء التوسعة عليهم: «... فوالله ما الفقر أخشى عليكم... (١) ، وهذا راجع إلى كمال اطمئنانه وعظيم ثقته بموعد ربه ، ويقينه التام بأن ما قدره الله للعبد من رزق فهو آتية لا محالة.
 - ٣- العلم بأن لهذا الابتلاء فوائد جمة متى استطاع المرء تحقيقها تحول الأمر في حقه من محنة إلى منحة ، ومن نعمة إلى نعمة ، ومن تلك الفوائد:
- * أن العبد بصبره على الابتلاء ينال ما ذكره تعالى في سورة البقرة في قوله: ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)) [البقرة: ١٥٥-١٥٧].
- * أن العبد المبتلى بذلك يتقلب بين مقامات العبودية المختلفة من صبر وتسليم ورضا وتوكل ورجاء وورع ولجوء وتضرع وسكينة وثقة... إلى غير ذلك من المقامات العالية لذلك التي قد يحرمها لو لم يُصَبْ بذلك.
- بالإضافة إلى المقامات الأخرى من حمد وشكر وإحسان إلى الآخرين... الى غير ذلك مما يناسب النعم التي أعطيها العبد كنعم الإيمان والصحة والأخلاق الحميدة والاشتغال بما ينفع في الآخرة... الخ.
- * أن من ابتلي بذلك من الدعاة وصبر يصلب عوده ويقوى ويصبح أكثر قدرة على الثبات في مواجهة المحن والأزمات (٢) ، وبخاصة إذا كان السبب المباشر لمعاناته من الفقر وقلة ذات اليد تَمَسُّهُ بدينه وثباته على دعوته وقيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- * أن المصيبة والابتلاء في الدنيا لا في الدين ، ومن عرف حقيقة الدنيا والدين وابتلي وكانت مصيبته في دنياه ، عرف أنه قد سلم وعوفي وأن واجبه الشكر والثناء لا السخط وعدم الرضا (٣).
- * أن كل مصيبة سببها المعاصي والذنوب كما قال تعالى: ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)) [الشورى: ٣٠] ، والمصائب والبلايا تُكْفَرُ الذنوب ، ولولا رحمة الله تعالى بإيقاعها عليه في الدنيا لأجلت عقوبة ما اقترف من ذنوب الى الآخرة ، وعقوبة الآخرة ليست كعقوبة الدنيا مهما عظمت وجلّت ، وعند ذلك يجب في حق العبد الشكر والثناء على الله تعالى.
- * أن المصيبة واقعة لا محالة لكونها مكتوبة على العبد ، قال صلى الله عليه وسلم: (وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك) (٤) وكونها قد وقعت فقد استراح منها إن انتهت ومن بعضها إن بقيت وهذه نعمة وتوفيق وفضل من البارئ سبحانه (٥).

٤- استشعار حقيقة الدنيا والآخرة والنظر في النصوص الكثيرة من قرآن وسنة التي تزهد في الدنيا ، وتخبر بمصيرها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها وشدة فتنها من جهة ، وترغب في الآخرة وتخبر بشرها ودوامها ومن ذلك قوله تعالى: ((قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى)) [النساء: ٧٧] ، وقوله عز وجل: ((بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى)) [الأعلى: ١٦، ١٧] ، وقوله سبحانه: ((ما عندكم ينفذ وما عند الله باق)) [النحل: ٩٦] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) «(٦)» ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم) «(٧)» . قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام له جميل حول هذا الموضوع: «... فإذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار» «(٨)» .

٥- إدراك أن الدنيا لا يقوم عليها ميزان التفاضل في الدار الآخرة ، بل ذلك يقوم على التقوى فمن أكرمهم الله وفقه لطاعته والإيمان به ومحبته ومعرفته والدعوة إليه وتحمل الأذى في سبيله ، ومن أهانه سلبه ذلك قال يحيى بن معاذ رحمه الله : «لا يوزن غداً الفقر والغنى وإنما يوزن الصبر والشكر» «(٩)» ، وقال ابن القيم رحمه الله ناقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى ، فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة» «(١٠)» .

وبالتالي فلا غضاضة على العبد أن يكون فقيراً في هذه الدنيا إذا كان الفقر لا يعني دناءة المنزل عند الله عز وجل ، بل إن الله أولياء من خلقه شعناً غبراً مدفوعين في الأبواب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رب أشعث مدفوعاً في الأبواب لو أقسم على الله لأبره) «(١١)» ، وكما قال -صلى الله عليه وسلم- للصحابه حين مر رجل من أشراف الناس فقالوا: هذا والله حري إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع ، ومر رجل من فقراء المسلمين فقالوا هذا حري إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع لقوله فقال صلى الله عليه وسلم (هذا خير من ملء الأرض من هذا) «(١٢)» .

حتى تكون راضياً مطمئناً:

من أجل أن يخفف الداعية عن نفسه القلق الناتج عن المعاناة من قلة ذات اليد ، وينقلب توتره وضجره إن كان موجوداً إلى هدوء واطمئنان ورضا ، عليه التأمل فيما يأتي:

*النظر في حال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما ورد في سيرته «حيث توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير» «(١٣)» ، وكان ص «يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه» «(١٤)» ، وتوفي ص «وما شبع ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة» «(١٥)» ، «وكانت تمر عليه ثلاثة أهلة في شهرين دون أن يوقد في بيته نار ، إنما طعامهم الأسودان التمر والماء» «(١٦)» ، وكان -صلى الله عليه وسلم- يأكل ومن معه في صدر الإسلام ورق الشجر كما قال عتبة بن غزوان: (لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما طعامنا إلا ورق الحُبلة حتى قرحت أشداقنا) «(١٧)» ، إلى غير ذلك من الصور الكثيرة التي نقلها لنا مَنْ دَوَّن سيرته -صلى الله عليه وسلم- وسير صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، على الداعية الحق أن ينظر في ذلك ، ويتذكر أنه ليس الوحيد الذي يسير في قافلة الدعوة ، ويعاني من قلة ذات اليد ، فهذا قائدها -صلى الله عليه وسلم- وكبار أعلامها قد عانوا ما يعاني وله بهم أسوة كما قال تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)) [الأحزاب: ٢١] .

* عليه أن ينظر إلى من حوله من إخوانه ، الذين هم أكثر فاقة وأشد معاناة ويرى عظم مصيبتهم وضخامة حاجتهم ، فيواسي نفسه بمقارنة مصيبتهم بمصيبتهم ، وخفة حاجته عند عظيم فاقتهم ، فيحمد الله على التخفيف والرحمة بأن لم يبتله كما ابتلاههم ، ولم يمتحنه كما امتحنهم ، قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فليُنظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه) وفي رواية (فهو أجدر ألا تزدروا نعمة من الله عليكم) (١٨).

* وعليه أن ينظر إلى نفسه بشمول في وقته السابق واللاحق ، وسيجد عند ذلك عظم نعم الله تعالى عليه في سائر أحواله الماضية والحاضرة ، وأن الله عز وجل إن كان قد منعه في وقت فقد أعطاه في أوقات ، وإن كان قد حرمه في جانب فقد منحه الشيء الكثير في جوانب أخرى ، وعليه أن يقوم بتعداد نعم الله ، وسيجد أن لا قدرة له على حصرها وتقصيها ليعلم عند ذلك مدى كفرانه بنعم الله ، وجحوده بها من جهة ، وواسع رحمة الله ولطفه وعظم تجاوزه عنه ومغفرته من جهة أخرى ، قال تعالى: ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار)) [ابراهيم: ٣٤] وقال عز وجل: ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم)) [النحل: ١٨] ، مع أنه ليس للعبد من ذاته في الحقيقة سوى العدم وكل ما فيه وله من خير فهو محض جود الله تعالى وإحسانه.

* عليه التأمل في حال أصحاب الأموال الذين لم يرد الله لهم خيراً ، وجعل ما آتاهم من رزق سبب شقاوتهم في الدني ، فلا هم يهنأون بعيش ولا يشعرون بطمأنينة واستقرار أو بسكينة وهدوء بال ، بل قد يؤدي ببعضهم إلى قتل النفس والانتحار ، وسبب شقاوة بعضهم في الآخرة حيث قادهم إلى الكفر بالله والجحود ، وبالتالي قادهم إلى النار كقارون الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة أولي القوة ، فطغى وتجبر وجد وقال إنما أوتيته على علم عندي ، فكانت عاقبته كما قال تعالى ((فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين)) [القصص: ٨١].

٧- العلم بأن الفقر بلاء عام بين الخلق يبلي به الله تعالى من شاء من عباده الدعاة وغيرهم ولا علاقة لوجوده بالاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالتالي فإن التذرع عن ترك الاشتغال بالدعوة وحمل هم هذا الدين بطلب الرزق والسعي إلى كسب المال خطأ فاحش إذ لا علاقة لهذا العمل الجليل بوجود الفقر ، بل إن الأمر على العكس من ذلك ، فإن القيام بطاعة الله تعالى وتقواه من خلال نشر هذا الدين بين الناس ومحاربة الكفر والبدع والمعاصي في الأمة ، من أعظم أسباب جلب الرزق كما قال تعالى: ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)) [الطلاق: ٢٣].

مع أن تارك السير في قافلة الدعوة لأجل ذلك أضاف إلى معاناته من الفقر وعدم سلوك الأسباب الجالبة للرزق حرمان نفسه من الأجر والثواب عند الله تعالى وما عنده خير وأبقى وقيامه بتعريضها للعقوبة لعدم قيامه بركاة العلم الذي آتاه الله إياه ، وتتمثل بنشره بين الناس وتعليمهم إياه.

٨- أن يعلم أن الخير له فيما اختاره الله عز وجل ، وأن الفقر قد يكون هو الخير له لأن من عباد الله أناساً من لو أغناهم لحملهم ذلك على البغي والطغيان والكفر بالرحمن والتجبر على الخلل أشراً منهم وبطراً ، كما قال تعالى: ((ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير)) [الشورى: ٢٧] ، قال العلامة ابن سعدي مفسراً لهذه الآية: ((«ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض»)) أي لغفلوا عن طاعته وأقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا ، فأوجب لهم الانكباب على ما تشتهيه نفوسهم ولو كان معصية وظلماً «ولكن ينزل بقدر ما يشاء» بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته «إنه بعباده خبير بصير» ، كما في بعض الآثار أن الله تعالى يقول: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنَى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك...» (١٩).

٩- الحذر من القيام بالتعرض للآخرين للحاجة والتنبيه إلى عدم طرق أبواب المسألة ، والعلم بأن ذلك وإن جاز لأناس رخص لهم الشارع بذلك ، فإنه مما لا ينبغي للدعاة سلوكه بحال لأن سبيلهم التعفف

والتجمل وعدم إظهار الشكوى والفقر ، بل ستره ولقمانه اتصافاً بقوله تعالى: ((يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف)) [البقرة: ٢٧٣] ، ورجاء تحقيق الامتثال لقوله صلى الله عليه وسلم: (ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله)(٢٠).

١٠- ليعلم الداعية الذي هذا حاله أن ما سبق بيانه ليست بدعوة إلى ترك العمل ، وتعطيل أسباب تحصيل الرزق ، فإن ذلك في الحقيقة نقص في العقل وجهل بالشرع ومخالفة له ، كما قال تعالى آمراً بالأخذ بالأسباب مع عدم الركون إليها: ((فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)) [الملك: ١٥]. بل إن تعريض الإنسان نفسه للفقر حتى يضطر إلى الآخرين مع قدرته على الكسب غير اقتراف الإثم له آفات ومفاسد كثيرة منها:

*تعلق القلب بما يقيم أوده ويعيشه وما هو محتاج إليه في هذه الدنيا ، فيبقى في تفكير عميق ومجاهدة شديدة مع نفسه لترك حظه منها وهذا من قلة الفقه وعدم الرشد ، والعاقلة في تعامله مع نفسه من يقوم بإعطائها حقها ويطلبها بما عليها ، وهذه هي طريقة وهدى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما جاء في قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء والذي صدقه فيه صلى الله عليه وسلم: «إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه»(٢١). وعلى العبد القادر على الكسب أن يستبدل مجاهدته لنفسه في شهوة مباحة مجاهدته لأعداء الله وشرعه من شياطين الجن والإنس ، وأن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله على بصيرة.

*تطلع النفس إلى ما في أيدي الناس ، وتعريضها للحاجة والسؤال إذا مسته الحاجة إلى المال. ولا شك أن استدامة طلب الرزق الحلال لمن هذه حاله أنفع له من ترك ذلك.

*مع التسليم جدلاً بأن من هذه حالته سيقطع تعلق قلبه بحاجات نفسه ويقوم بمنع نفسه من المسألة ، فإنه يخشى عليه أن يداخله من الكبر والعجب والزهو والغرور ما يفسد عليه قلبه ويمرضه إن لم يميته ، وتلك والله القاصمة(٢٢).

كما أن هذه الأسطر ليست دعوة إلى الإعراض عن نعم الله المتيسرة من الحلال ونبذها وإضاعتها ، لأن تلك النعم في نظر الأخيار عوناً على الإيمان والعمل الصالح ، ولكنها نداء إلى استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب ، والسعي إلى عدم تعلقه بها وحرصه عليها واشتغاله بأجمعه بها حتى يصل إلى مرحلة عدم الفرح بموجود فيها وعدم الأسف على مفقود منها كما قال تعالى: ((لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)) [الحديد: ٢٣].

إنها دعوة إلى أن يربي العبد نفسه على غنى النفس ، وأن يكبح جماحها ويقوم بتهذيبها حتى تصل إلى مرحلة القناعة بأنه لن يفوتها شيء من الرزق قسمه الله تعالى لها في الأزل ، وأن يقوم بتوطينها على الرضا باليسير حتى يصل بها إلى درجة الاستغناء عن الخلق ، كما قال صلى الله عليه وسلم: (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)(٢٣).

١١- ومع الدعوة إلى طرق أسباب الرزق الحلال من تجارة وزراعة وصناعة... الخ ، فإنه لا بد من التذكير بأن العبد لا ينبغي له ترك ما بينه الشرع من أمور جالبة للرزق ومنها:

*التقوى كما في قوله تعالى: ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب)).

*الاستغفار كما في قوله تعالى: ((فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً))

[نوح: ١٠-١٢].

*الإنفاق والصدقة كما في قوله تعالى: ((وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)) [سبا: ٣٩] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما نقصت صدقة من مال) (٢٤) ، وقوله تعالى في الحديث القدسي: (يا ابن آدم أنفق أنفق عليك) (٤٣).

*الشكر للنعم وعدم كفرانها كما قال تعالى: ((لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)) [ابراهيم: ٧].

*الاستغناء عن الخلق والتعفف عما في أيديهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله) (٢٠).

*صلة الرحم كما قال صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه) (٢٥).

*الدعاء كما قال تعالى: ((وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)) [غافر: ٦٠] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يرد القضاء إلا الدعاء) (٢٦).

نداء إلى الأغنياء:

١- لا بد للأغنياء من إدراك خطورة الفقر حيث إنه كما قيل قرين الكفر ، وأن خطورته تزداد على الدعاة إلى الله عز وجل ، والعلم بأنه من شدة خطورته كان -صلى الله عليه وسلم- يدعو الله تعالى بأن يغنيه منه ويستعيذ بالله من فتنته كما في قوله -صلى الله عليه وسلم- (اقض عنا الدين وأغننا من الفقر) (٢٧) ، وقوله: (اللهم فإني أعوذ بك... ومن شر فتنة الفقر) (٢٨).

ولذا كان لا بد لمن يسر الله تعالى عليه من الدعاة وكذلك الموسرين الصالحين أن يتفقدوا حال إخوانهم فإن لهم عليهم حقاً ، وما لم يصل الأمر إلى ذلك فإن الأخوة لن تتعقد في الحقيقة والموجود منها مجرد مخالطة ليس إلا ، لا حقيقة لها في العقل والدين (٢٩) ، وليعلم الموسرون بأن لهم بالأنصار من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة حيث واسوا إخوانهم من المهاجرين وقاسموهم الأموال.

٢- وأن يتذكروا أيضاً ما جاء من نصوص في الأمر بالإنفاق وبيان فضله والتحذير من عدمه ، ومن ذلك قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون)) [البقرة: ٢٥٤] ، وقوله سبحانه: ((الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) [البقرة: ٢٦٢] ، وقوله عز وجل: ((وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم وما تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)) [البقرة: ٢٧٢] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟) (٣٠) ، وفي رواية (وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس) (٣١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفع فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً) (٣٢) ، وقوله عليه الصلاة والسلام: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله) (٣٣).

ولا شك أن الصدقة على الإخوان أفضل من الصدقة على الفقراء كما قال علي رضي الله عنه «لعشرون درهماً أعطيتها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق مئة درهم على المساكين» (٣٤).

٣- ولا يكفي تفقد الإخوان والإنفاق على المحتاج منهم فحسب ، بل لا بد من سلوك أفضل السبل لإيصال ذلك إليهم بما يحفظ لهم ماء وجوههم ويصونهم من الذل والمهانة أمام إخوانهم المنفقين ،

وبما يمنع من تسليط الآخرين ألسنتهم الحداد عليهم أو غيبتهم أو سوء الظن بهم ، وبما لا يساعد المعوزين على ترك الحياء أو التشجع على طرق أبواب المسألة والخروج عن هيئة التعفف والاستغناء عن الآخرين .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

الهوامش:

- (١) البخاري مع الفتح ٣٧١/٧ ج ٤٠١٥ .
- (٢) انظر الظلال ١٤٥/١ .
- (٣) انظر موعظة المؤمنين ٣٣٦/٢ .
- (٤) المسند ١٨٥/٥ وصححه الألباني في رياض الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ١٠٩/١ .
- (٥) انظر موعظة المؤمنين ٣٣٦/٢ .
- (٦) الترمذي ٥٦٠/٤ ح ٢٣٢٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٢٩٢ .
- (٧) الترمذي ٥٦١/٤ ح ٢٣٢٢ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٤١٤ .
- (٨) تهذيب مدارج السالكين ٢٨٣ .
- (٩) المصدر السابق ٢٧١ .
- (١٠) المصدر نفسه .
- (١١) مسلم ٢٠٢٤/٤ ح ٢٦٢٢ .
- (١٢) البخاري مع الفتح ٢٧٨/١١ ح ٦٤٤٧ .
- (١٣) البخاري مع الفتح ١١٦/٦ ح ٢٩١٦ .
- (١٤) مسلم ٢٢٨٥/٤ ح ٢٩٧٨ .
- (١٥) مسلم ٢٢٨٤/٤ ح ٢٩٧٦ .
- (١٦) مسلم ٢٢٨٣/٤ ح ٢٩٧٦ .
- (١٧) مسلم ٢٢٧٩/٤ ح ٢٩٧٢ .
- (١٨) مسلم ٢٢٧٥/٤ ح ٢٩٦٣ .
- (١٩) تفسير العلامة ابن سعدي ٦١٦/٦ .
- (٢٠) البخاري مع الفتح ٣٤٥/٣ ح ١٤٢٧ .
- (٢١) البخاري مع الفتح ٢٣٦/٤ ح ١٩٦٨ .
- (٢٢) انظر تهذيب مدارج السالكين ٤٧٢، ٤٧٣ .
- (٢٣) المسند تحقيق الشيخ أحمد شاكر ٢٢٨/١٥ ح ٨٠٨١ وقال المحقق «في إسناده ضعف ولكن يكون صحيحاً بغيره» .
- (٢٤) مسلم ٢٠٠١/٤ ح ٢٥٨٨ .
- (٢٥) البخاري مع الفتح ٤٢٩/١٠ ح ٥٩٨٦ .
- (٢٦) الترمذي ٤٤٨/٤ ح ٢١٣٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٦٨٧ .
- (٢٧) مسلم ٢٠٨٤/٤ ح ٢٧١٣ .
- (٢٨) مسلم ٢٠٧٨/٤ ح ٢٧٠٥ .
- (٢٩) انظر موعظة المؤمنين ١٣٩/١ .
- (٣٠) مسلم ٢٢٧٣/٤ ح ٢٩٥٨ .
- (٣١) مسلم ٢٢٧٣/٤ ح ٢٩٥٩ .
- (٣٢) مسلم ٦٨٨/٢ ح ٩٩١ .

خاطر في الدعوة

نشأة أخرى

- ٢ -

محمد العبد

الإيمان الغامر، والتوحيد الخالص، الذي يملأ النفس يقيناً ، فلا تتفرق ولا تنهات أو تضطرب ، هو الذي يرفع المسلم ليكون (صاحب رسالة) ، وهو الذي يدفعه لاستصغار الأهوال والخطوب ، ويعطيه قدرة على الصبر والاحتمال ، ويستكبر على الشهوات، ويعلو على العصبية ، فيكون همه الذي يقيمه ويقعده ، هو انتصار هذا الدين.

المؤمنون حقاً هم الذين دفعوا بالمد الإسلامي الأول قوياً ، حتى كاد أن يغطي المعمور من الأرض ، وعاشت أجيال من بعدهم على قوة هذا الدفع عاشت أجيال بقوة إيمان مثل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الذي لا يعبأ بنفسه وإنما كان همه الأول هو هذا الدين ، ولذلك قبل بأمره عمرو بن العاص في غزوة (ذات السلاسل) ؛ لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال له: «تطاولا ولا تختلفا».

وإيمان خالد بن الوليد هو الذي جعله يقبل بأن يكون تحت إمرة أبي عبيدة بعد أن كان القائد العام للجيش الإسلامية في الشام ، والحرص على الدعوة ووحدة الصف هو الذي جعل الصحابي الجليل أبا برزة الأسلمي يتألم من القتال الواقع بين بني أمية وعبد الله بن الزبير ويقول: «إني أحتسب عند الله أنني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، وإن هذه الدنيا هي التي أفسدت بينكم». ونحن والله قد أصبحنا ساخطين على هذا الذي يجري في أفغانستان حيث لم تراخ مصلحة المسلمين وسمعة الإسلام ، ولم يقبل صلح أو تعاون أو مشورة ، وأما ما يجري من القتال بين المسلمين من القتال بالكتب لا بالكتائب من الدم والثلب وتصنيف الناس ، والولوج في أعراض الدعاة الصادقين ، وما يجري من الشقاق والبغضاء لأنفة الأسباب ، فلا شك أنه من الأهواء والأنانيات. ما الذي يقضي على آفات النفس ، من الحسد والبغي ، وحب العلو والرئاسة ، أو الوقوع في سفاف الأمور وترك معاليها؟ ليس غير الإيمان الذي يملأ الجوانح هو الذي يقضي على هذه الآفات الإيمان بالله الذي يعلم هذه النزغات ، والإيمان باليوم الآخر ، حيث يلاقي الإنسان ربه ، وليس غير حب هذا الدين والرغبة في أن يطبق في الأرض ، وأن يهيمن ويعلو ، ويستظل الناس بخيره وعدله.

ومن هنا ندرك مدى دلالة وعظمة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: («إنما الأعمال بالنيات»)، فإنه من الجدير بالتأمل أن العمل الذي يقوم من بداياته على نية صادقة وسنة ماضية ، فإنه يكون قوياً مستمراً بإذن الله ، وإن كان غير ذلك فإنه مُنْبَتُّ يعود لأصله وجذره ولا يبارك فيه ، ولهذا قال عالم الأمة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «أنتم أكثر أعمالاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهم أفضل منكم ذلك لأنهم كانوا أبر قلوباً...» ، فالحياة هي حياة القلب ، والموت هو موت القلب: ((يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)).

نص شعري مناجاة.. للعام الجديد

محمد العتيق

صاح في الناس المنادي:
«أيها الناس استفيقوا..
شيعوا العام الطريد
واحضنوا العام الجديد
واحتمسوا من غير لأي خمرة العام السعيد
كي تظل النفس سكرى..
في مدى العام المديد»
«أيها العابث فينا..
ما نداءاتك إلا صرخة..
في مسمع الوادي السحيق»
هكذا.. ردد صمت السامعين!
وانبرى صوت المناجي:
أيها العام الجديد.. يا ترى ما قد تكون؟
بلغ الأولاد عشراً من سني العمر
في ظل حياة الفقر لا يدرون ما معنى «المطر»
قال لي أكبرهم:
حدثتنا أمنا ذات مساء
أن شيئاً كان من مهد السماء
كان يهمي فوق أجساد البشر
وتسميه العبارات «مطر»!
صارت الأمطار ذكرى..
أصبحت محض خبر!
أيها العام الجديد..
أترى فيك نرى..
نشوة الأطفال من تحت المطر؟
وانتشاء الروض من عبق الزهر؟
وابتهاج العيد في أحلى الصور؟
في بلادي من جديد!
أترى يوماً يعود..
منتدى الأرواح في عذب السمر..
وحديث الحب في صمت السحر..
في رياض ضاءها نور القمر..

في بلادي من جديد؟!
 واختفى صوت المناجي..
 حيث لا تَم سوى همس الظلام!
 أترى نتلوك سطرًا..
 في كتاب البؤس من عيش العبيد؟
 أم ترى نرويك شعراً..
 في رثاء العز والمجد التليد؟
 أيها العام الجديد..
 طال عمر لجفاف الريق والأرض هنا
 وارتوت من دمعها مليون عين
 واشتكى الضيم سواد الثقيل
 وارتدى الناس من الإملاق أخفاف حنين
 بدل الواحد شدوا محزمين!
 ويطول الحزن في مآثمهم..
 ويفك الدين دين!
 أيها العام الجديد

دراسات اقتصادية المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي

- ١ -

د. محمد عبد الله الشباني

تمثل المشكلة الاقتصادية محور الاهتمام لدى علماء الاقتصاد ، كما أنها محور اهتمام الدول عند معالجتها لقضاياها الاقتصادية ، فالمشكلة الاقتصادية مرتبطة بوجود الإنسان على الأرض ، وهي من العوامل المؤثرة في المسيرة التاريخية للإنسان ، بل إن أحد أنبياء الله المرسلين وهو النبي شعيب عليه الصلاة والسلام قامت دعوته لقومه على تأكيد الجانب الاقتصادي وأهمية الإصلاح الاقتصادي المرتبط بسلامة العقيدة ، فقد حكى الله في القرآن الكريم قصة شعيب مع قومه ، وأبرز أهم نقاط إنكاره عليه السلام على قومه المتمثلة في عملية البخس في التبادل التجاري ، وأكل أموال الناس بالباطل من خلال التأثير في عملية التوزيع ، التي تمثل أهم جوانب المشكلة الاقتصادية يقول الله تعالى مخبراً عن واقع قوم شعيب وسلوكياتهم الاقتصادية المرتبطة بسوء التوزيع: ((وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقيسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)) إلى قوله: ((قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آبائنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ، قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي وزرقتني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)) (١).

ولعل في الآيات إشارة إلى تأثير عدم العدل في التوزيع وفي التبادل التجاري ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وأن ذلك من أسباب سوء الأوضاع الاقتصادية للفرد والمجتمع ، فقد وصف نبي الله شعيب واقعه باعتباره تاجراً يلتزم بأوامر الله بأن الله قد رزقه رزقاً حسناً بسبب التزامه بما يأمر به قومه من العدل في التعامل.

تتمثل المشكلة الاقتصادية في جوانب ثلاثة هي:

١- ندرة الموارد الطبيعية وقلتها ومحدوديتها ، وبالتالي فإن المشكلة في هذا الجانب تتمثل في الاختيار بين ما ينتج وما لا ينتج لاختلاف وكثرة حاجات الإنسان ، وكيفية تخصيص الموارد المتاحة للاستخدام ، أي تحديد الموارد التي يمكن استخدامها ، وأسلوب الإنتاج الذي ينبغي اتباعه وبالتالي فإن المشكلة تمتد لدراسة نظرية الائتمان لهذه الموارد ونوعية السلع وكمياتها ، وأولويات إنتاجها ، والبدائل بينها.

٢- الطريقة التي يتم بها توزيع الدخل العام على عناصر الإنتاج المختلفة أي نمطية ونوعية توزيع عناصر الإنتاج على أفراد المجتمع ، وأنصبة عناصر الإنتاج في ذلك الدخل على أساس الوظيفة التي أداها كل عنصر في تحقيق هذا الدخل ، فهذا الجانب من المشكلة الاقتصادية يتعلق بتحديد مصادر الدخول الفردية وقواعد اكتسابها وتوزيعها ، وكذلك تحديد أنصبة عناصر الإنتاج في الدخل وهي الربح للأرض والأجر للعمل والعائد على رأس المال والربح للمنظم أي للمضارب بالعمل.

٣- الأهمية النسبية لعناصر الإنتاج ودور كل عنصر وأهميته في العملية الإنتاجية ، والأهمية النسبية مرتبطة بالمفهوم الفلسفي الذي يعتنقه المجتمع ، فإن للنظام الاجتماعي بما يحتويه من تنظيمات اقتصادية تأثيراً في تحديد مقدار الإنتاج ونوعه سواء أكان من حيث مدى اتساع وضيق حرية التملك أو حرية العمل والاستهلاك ، أو تشجيع التقدم الفني والتقني لتحسين وزيادة الإنتاج بقصد الاستفادة من عناصر الإنتاج الأساسية المتمثلة في الموارد الطبيعية ورأس المال والعمل. إن هذه الجوانب الثلاثة للمشكلة الاقتصادية هي محور الدراسات الاقتصادية ، كما أن لها دورها في الصراع بين مختلف الشعوب والمجتمعات بجانب أنها من العوامل المسببة لنشوء الحروب وسقوط الحضارات.

إن وجود المشكلة الاقتصادية هو جزء من سنة الله الكونية ، وابتلائه وامتحانه للبشر حتى يتميز الخبيث من الطيب ، والصالح من الفاسد ، والمؤمن من الكافر. إن الإسلام يقر بوجود المشكلة الاقتصادية ، ويعتبرها من الظواهر الكونية ومن السنن الإلهية المصاحبة لوجود الإنسان على الأرض ، وجزء من امتحان الله له حتى يمكن تحديد مصيره في الحياة الآخرة.

إن النقص والندرة في الموارد الطبيعية جزء من إرادة الله الكونية ، كما إنها أحياناً تكون نوعاً من العقاب الإلهي لطغيان الإنسان في الأرض وإفساده فيها. لقد حدد الله في كتابه العزيز العلة لوجود هذه الظاهرة ، أي ظاهرة ندرة الموارد وقلتها ، بأنها تعود إلى طبيعة الإنسان التي خلقه الله عليها ، تلك الطبيعة المتمردة الطاغية التي تستغني عندما تشبع ، يقول الله تعالى موضحاً هذه الحقيقة: ((ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء)) (٢) ، ويقول تعالى واصفاً طبيعة النفس البشرية عندما تصل إلى الرفاه وتحقق متطلبات وحاجات الإنسان ، بأنها تصبح طاغية مستبدة: ((كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى)) (٣) ، كما إن المجتمع الذي يستغني فإنه يمارس ما يمارسه الفرد ، وهذه الحقيقة أوضحها القرآن الكريم في قوله تعالى: ((لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له

بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور)) (٤) ، وقوله تعالى: ((وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)) (٥).

إن الندرة في الموارد الطبيعية حكمة تقتضيها ، فالنقص في الموارد يوجد الحافز على عمران الأرض واستمرارية البشر عليها حتى الأجل المحتوم بالعمل حسب الطاقات والإمكانات الفعلية والعقلية الموزعة بين البشر ، مما يؤدي إلى قيام عنصر العمل بدوره في الاستفادة من الموارد الطبيعية ، ومساهمته في استخراج الكنوز المودعة في الأرض ، ولن يتم ذلك إذا انعدمت وزالت المشكلة الاقتصادية ، لقد حدد القرآن الكريم هذه الحكمة بأنها جزء من سنة الله الكونية وآية من آيات ربوبيته في قوله تعالى: ((ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً)) (٦). يحدد القرآن الكريم المنهج الذي يمكن للإنسان عند اختياره له تحقيق الرخاء والحصول على رغد العيش وكفايته ، فقد تكفل الله بتوفير احتياجات الإنسان المرتبطة بمقومات وجوده ، حيث تكفل الله بإشباعها ، هذا المنهج الذي أوضحه الله سبباً موجباً لكفاية الاحتياجات ، هو إيمان الإنسان بالله قولاً وعملاً وسلوكاً وتشريعاً ، إن انحراف المجتمعات الإنسانية يعتبر سبباً في تحقيق النقص في الإنتاج سواء أكان ذلك بسبب تسليط الله لبعض مخلوقاته بإفساد وتحطيم الإنتاج ، أو بنزع بركة الخير والرزق الذي يبسطه الله لعباده ، يقول الله تعالى: ((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)) (٧).

إن معالجة الإسلام للمشكلة الاقتصادية ، والأسلوب الذي يأمر باتباعه لتجنب الوقوع في المشكلة بالشكل الذي يخل بتوازن المجتمع ، يقوم على معالجة جميع جوانب المشكلة الاقتصادية بشكل متكامل بحيث تتكاتف جميع العناصر المؤثرة في التنظيم الاجتماعي بالعمل في تناسق وتكامل لتحقيق المجتمع الفاضل الذي تسير الحياة فيه وفق منهج الله الذي أوضحه سبحانه في كتابه على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، فإذا تحقق هذا الأمر باليسر وفق شريعة الله عقيدة وشريعة ، فإن المشكلة الاقتصادية بمختلف جوانبها لا تصبح معوقاً لاستقرار الفرد وتحقيق الغاية التي من أجلها خلقه الله وأهبطه إلى الأرض ، ليعمرها فترة زمنية محددة ، حيث ينتهي به المطاف إلى الحياة الأخرى التي لا نصب فيها ولا تعب ، وإنما هي دار جزاء على ما قدمه خلال الفترة الزمنية التي مكثها على وجه الأرض.

إن دراسة المنهج والأسلوب الذي يعالج به الإسلام حل المشكلة الاقتصادية يقتضي دراسة جميع جزئيات وكميات النظام الاقتصادي من المنظور الإسلامي ، أي دراسة كاملة وشاملة لمنهجية وأسلوب الإسلام في تنظيم المجتمع من الناحية الاقتصادية ، وبالتالي فليس من مهمة هذه المقالة وما يتبعها من مقالات طرح كامل لكافة الحلول التي يطرحها الإسلام لعلاج المشكلة الاقتصادية بإعطاء تصور كامل لمنهج الإسلام ، فهذا يحتاج إلى دراسات مطولة ومتنوعة لمختلف فروع الاقتصاد ، ولكن سوف نحاول في هذه المقالة وما بعدها من مقالات ترتبط بالمشكلة الاقتصادية إعطاء القارئ تصوراً عاماً للحلول التي يأمر بها الإسلام لحل المشكلة الاقتصادية بجوانبها الثلاثة التي أشرت إليها في بداية هذه المقالة ، وتأسيس فكرة أن الإسلام لا يقتصر على معالجة العلاقة بالله تعالى فقط ، وإنما يعالج مشاكل البشر المادية بما يتفق مع الطبيعة البشرية والسنن الكونية التي اقتضتها حكمته من خلق الإنسان على هذه الأرض.

إن الندرة في الموارد الطبيعية مرتبطة بحكمة خلق الإنسان ، حيث إن الأرض التي خلقها الله للإنسان ليسكن فيها لم تخلق لتكون مكان راحة وسعادة ونعيم ، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى

عندما أهبط أبا البشر آدم عليه السلام: ((وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)) (٨) ، فلم يفيض الله أنعمه على الأرض كما أفاضها في الجنة بل جعل متاعها قليل وجعل مواردها محدودة ، ولكن الله الذي خلق الأرض وخلق البشر عليها ، قد أوجد فيها من الخيرات والموارد التي تكفي حاجة الناس إذا قاموا على الطريق السوي وامتنلوا لأمر الله ، ولكن إذا انحرفوا فإن قانون الندرة يؤدي إلى استفحال المشكلة الاقتصادية وإصابة الناس بالألم والعذاب والشقاء والفقر والجوع والخوف..

إن منهج الإسلام في معالجة الندرة في الموارد الطبيعية يتمثل في توجيه المجتمع إلى استغلال جميع الموارد الطبيعية ، وبذل الجهد في سبيل الحصول عليها والاستفادة منها، فاستغلال هذه الموارد يحتاج إلى بذل الجهد ، فمن أراد أن يستفيد مما أوجده الله على الأرض أو في السماء ، فإن عليه بذل الجهد فالموارد الطبيعية التي هي أحد المصادر المسببة للمشكلة الاقتصادية ، سواء أكان ذلك من ناحية القصور في استغلالها ، أو من ناحية الأسلوب والتقنية المتبعة من قبل الإنسان عند استغلاله لهذه الموارد ، لهذا فإن معالجة واقع الندرة للمواد الطبيعية يأتي من كيفية استغلال هذه الموارد وبذل الجهد لاكتشافها ، فالأرض هي مصدر أساس من مصادر الرزق، وهي تكتنز في باطنها المواد الأولية لإنتاج المنتجات التي يحتاج إليها الإنسان في حياته ، كما إنها تحتفظ على ظهرها بمصادر الإنماء من تربة وماء فيتحقق باجتماعهما انتاج حاجة الإنسان من الغذاء ولهذا فإن معالجة الإسلام لجانب قلة الموارد وندرتها يأتي من خلال استغلال الأرض وتوجيه انتباه الإنسان إلى الأرض ، وضرورة استغلالها باستصلاح الأرض والعمل على استغلالها وخلق الحافز للإنسان لتحقيق ذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو حق) (٩) ، فيتضح من هذا الحديث جانب من جوانب معالجة الإسلام لكيفية التعامل مع الندرة ، وذلك بالحث على استغلال الأرض واستثمارها من خلال تشجيع الإنسان على استغلال الأرض من خلال الاستفادة من غريزة التملك لدى الإنسان بحث الأفراد القادرين على استغلال الأرض المعطلة ، وبالتالي فإن الإسلام يحرص على دفع عوامل الإنتاج في التفاعل من أجل تخفيف آثار الندرة في الموارد في استفحال المشكلة الاقتصادية فعدم استغلال الأرض يؤدي إلى تعطيل مصدرين من مصادر الإنتاج وهما الأرض والعمل ، ولهذا فقد وجه الإسلام الاهتمام إلى هذا الجانب من جوانب معالجة الندرة بتوفير المناخ المساعد على استغلال المتاح من الموارد الطبيعية فأوجد السياج النظامي لحماية الفئة النشطة من بني الإنسان ، بتوفير الحافز على استغلال الأرض من خلال إعطاء حق التملك لمن يستثمر الأرض ، وحماية هذا التملك بإهدار أحقية أي مغتصب فعبرة: وليس لعرق ظالم حق التي وردت في بعض الروايات يقصد منها أنه لا يحق لرجل يأتي إلى أرض قد أحيها رجل قبله فيغرس فيها غرساً غصباً ليستوجب بهذا الغرس تملك الأرض ، فقد أهدر حقه ومنعه من ذلك الحق ، وتقع حماية التملك على ولي الأمر المسلم الذي يتولى رئاسة الدولة الإسلامية. إن مشكلة الدول المتخلفة هي في عجزها عن استغلال مصادر الطبيعة المتاحة للإنسان ، إما بسبب التشريعات الظالمة التي تعيق الحافز على العمل والتاريخ المعاصر يقدم الدليل على أن التسريعات الظالمة ، وتبني الأفكار المنحرفة أدى إلى انهيار النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي الذي قام بتنظيمه الاقتصادي على تقليص دور الفرد في استغلال الموارد الطبيعية بكبح غريزة حب التملك ، وبالتالي إبعاد الحافز عن العمل بمنعه من أداء دوره في التأثير بعدم الاستفادة القصوى من الموارد الطبيعية.

لقد وجه الإسلام الانتباه إلى أن الموارد الطبيعية لا تقتصر على ما يظهر على وجه الأرض ، وأن الندرة قد تكون بسبب عدم بذل الجهد الفكري والعقلي ، وأن الندرة يمكن حلها إذا بذل الإنسان الجهد ، وعمد إلى البحث عن مصادر الرزق بعدم الركون إلى المصادر الظاهرة ، لقد روى أبو يعلى في مسنده حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أطلبوا الرزق في خبايا الأرض)(١٠) ، ففي هذا الحديث إظهار لحقيقة أن الأرض تخبىء كثيراً من الخيرات ، وأن الله الذي خلق الإنسان قد تكفل بأن يوفر له احتياجاته ولكن بشرط أن يعمل على البحث والتنقيب ، فالحديث فيه إشارة صريحة على أن الرزق مخبئ في باطن الأرض ، لكنه يحتاج إلى طلب.

إن من سنن الله الكونية أن الله قد أوجب على الإنسان السعي في الأرض وبذل الجهد والتعب ، أما التمتع بدون تعب فهو في الحياة الأخرى ، وهذا من الأسرار التي جعلها الله في قلة الموارد ، ولكن ليس الانعدام الكلي وعدم إمكانية توفير الاحتياجات ، فالندرة حسب المفهوم الإسلامي نسبية وليست مطلقة ، أي أن الندرة تحدث إذا عطل الإنسان ملكاته وقدراته ولم يعمل على استغلال طاقاته الذهنية.

إن من واجب الإنسان أن يمارس عملية التفكير والاختراع ، فما يصنعه الإنسان أو يكتشفه هو من صنع الله ، لهذا ينبغي فهم قول الله تعالى على حقيقته ((والله خلقكم وما تعملون))(١١) ، فإن ما يتوصل إليه الإنسان من مخترعات، وما يلهمه الله من معرفة للأسرار الكونية ، إنما أذن الله بها في هذا العصر مع كثرة الناس ، ولم يأذن بها فيما سبق من تاريخ البشرية ليؤكد حقيقة ثابتة لا جدال حولها أن الله قد تكفل بتوفير احتياجات الإنسان وأن الموارد المتاحة كفيلاً بتوفير احتياجات الإنسان بشرط أن يسعى وفق سنن الله وضمن نطاق العبودية له تعالى ، ولهذا فإن الانحراف عن هذا المنهج سيكون سبباً في ندرة الموارد حيث يصبح ذلك أداة لإنزال عقاب الله تعالى على ظلم الإنسان.

الهوامش :

(١) سورة هود: ٨٤، ٨٥ ، ٨٧، ٨٨.

(٢) سورة الشورى: ٢٧.

(٣) سورة العلق ، الآيتان ٦، ٧.

(٤) سورة سبأ ، الآيات ١٥-١٧.

(٥) سورة النحل ، آية ١١٢.

(٦) سورة الزخرف ، آية ٣٢.

(٧) سورة الأعراف ، آية ٩٦.

(٨) سورة البقرة ، آية ٣٦.

(٩) البخاري ، كتاب الحرث والزراعة ، حديث رقم ٢٣٣٥.

(١٠) ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد أن ابن حبان ضعفه لأن فيه هشام بن عكرمة ، وإن كان المعنى يمكن أن يؤخذ من عموم نصوص أخرى.

(١١) سورة الصافات ، آية ٩٦.

عبد الله محمد العسيري

يجر خطاه..

على «مسرح» من سامة

ومن خلفه «ابن سلول» له أوجه عدة

ليس فيها جباه!

وفي مقتلتيه جهامة

وفوق الجبين حمولة ذل..

غدت للعبيد علامة!

«وقع هنا»

يخط بريشته في الورق

هامساً وهو يحني العنق:

«سمعاً وطاعة!

نحن باعة..

وما كانت القدس والأرض إلا بضاعة!

وكلي قناعة..

غير أنني أفضل كتمان سري»

ويغرق همساً:

«كيف أصنع لو أبصر الشعب أحداقه السائلة!

ويدي القاتلة!

وجنين «السلام» الذي جاء ميتاً

وإن صفقت فرحاً فرقة «القابلة»!!

إن شرطي الحفاظ على السر حتى استلام الثمن».

هو يهوي على الطاولة..

يغمس الآن ريشته.. والعفن..

يتحدث عبر روائحه!..

عن حقيقة هذا الظلام الذي..

يتستر متزراً ب «السلام»!

أف.. هذا زمان الوهن!

ما الوهن؟!!

أن تبيع دمي..

وتجعل دولارهم بعد قتلي الكفن!!

ثم تسلبه حين تباعد العدسات..

لتأخذ أنت الثمن

رؤية في حدثين

د. عبد الله عمر سلطان

لم يجد وزير الخارجية الأمريكي من عبارة لوصف دخول الشرطة الفلسطينية إلى غزة وأريحا سوى القول: «إنها تجربة تشبه التجربة المثيرة التي نراها اليوم في جنوب افريقيا»، وما أبعد الشبه وأخبث المقارنة بين تجربة جنوب افريقيا التي عادت لتُحكم وتسير وفق رأي أهلها، وبين «الجيب» الاختباري الذي يحاول المستفيدون من وجوده أن يروجوا له، ويربطوا بينه وبين تجربة الأفارقة الجنوبيين.

ولكن مهلاً ، قد يكون هناك شيء من التشابه بين هذا الحدث ، وذاك ربما يكون هناك خيط رفيع يربط المشهدين ، والمسرحين ، والجمهور الفاجر فاه لهثاً وراء ما تخبئه بقية الفصول التي اعتاد الجميع أن تكون مأساوية وفي اتجاه واحد ، والجمهور الذي يهناً بلذة النصر على الظلم بعد كفاح مرير ، ولنتأمل ملامح الشبه بين الروايتين:

أولاً: كلا المشكلتين في الجنوب الأفريقي أو فلسطين المحتلة بدأت مع انتشار الرجل الأبيض وحضارته المشينة ، التي كانت تحمل الإنجيل المحرّف بيد بينما تنتشغل الأخرى في صب الرصاص والبارود باتجاه سكان العالم من غير البيض ، الرجل الأبيض الذي ينظر إلى نفسه باعتباره مخلوقاً فوق البشر الآخرين كان من حقه أن يعلن وهو يطمأ القدس (بظلالها الإسلامية) انتهاء الحروب الصليبية كما فعل الجنرال اللنبي أو أن يمارس الصيد البشري في حق سود جنوب افريقيا وملونيهما لأنهم دون البشر ، الذين يحملون الدماء والأعين الزرقاء.

ثانياً: كلا الكيانين العنصريين في جنوب افريقيا أو في كيان الصهاينة لم يكن ليكتب له الاستمرار والبقاء لولا الدعم الغربي المادي والمعنوي المباشر ورغم تعاقب الشعارات التي بدأت منذ إطلاق الفكرة السخيفة التبريرية بأن الاستعمار جاء ليطور الشعوب المحرومة ، وحتى شعارات «ولسون» وعصبة الأمم في تقرير حق الشعوب ، إلى إعلانات الأمم المتحدة وداستيرها الطنانة بالرغم من توالي كل هذا الطنين الهائل ، فإن الغرب لم يغير موقفه العملي من هاتين التجربتين المروعيتين ، بل ظل ينظر إلى هذين الكيانين باعتبارهما امتداداً حضارياً له بكل شمولية التجربة الحضارية وتعقيدها.

ثالثاً: ظلت جنوب افريقيا كما ظل العدو الصهيوني نموذجاً آلياً لما تعنيه العنصرية والتفرقة على أساس الجنس أو العرق (وأهم من ذلك الدين) فالأبارتايد التي تعني بلغة المستعمرين البيض التفرقة على أساس اللون والصهيونية كلاهما كانا ولازالا وجهين لنفس العملة التي جرمها العالم ودوله ومنظوماته الدولية عبر أكثر من عقد ، وحتى سقوط نظام التفرقة في جنوب افريقيا التي ظلت تجربتها ممقوتة ومقاطعة دولياً ، بالرغم من الخطوات والمبادرات الإيجابية للبيض لحل هذه المعضلة ، بينما حظيت الصهيونية بدعم أمريكا خصوصاً حتى أجبر العالم في ظل «النظام العالمي الجديد» أن يبتلع اعتراضه ويدوس على قراراته السابقة لكي تشرق شمس الصهاينة في ظل الحرب الصليبية.

رابعاً: في ظل هذا المشروع الغربي القذر، وبالدعم الدولي لدوله المنتصرة في هذا القرن، ومع تزامن الاعتراض الدولي الصوتي غالباً والدبلوماسي أحياناً ، أظهرت الشعوب الأفريقية المجاورة ، والدول العربية المحيطة بفلسطين ، فشلاً تلو فشل ، وكشفت المواجهة المفروضة على هذه الأمم عن فجوة حضارية هائلة ، وغباء سياسي لا مثيل له ، لاسيما حين كان يحارب المهزوم والمظلوم بسلاح ظالمه وعقيدة من قهره ، وهذا بحد ذاته كان دافعاً لطرح أسئلة

ضرورية وبدئية حول الكينونة والذات والجذور الحضارية ، وإجابات هذه الأسئلة هي البداية الصحيحة ، لتصحيح المعادلة القائمة.

خامساً: وهنا ، ومع تراكم هذه العوامل هب السود في افريقيا مطالبين بحقوقهم وأرضهم وثوراتهم... ، بل قبل ذلك بإنسانيتهم ، بينما كان شعب فلسطين المسلم يدفع بالدم الأحمر كل يوم ليغذي روح الجهاد والانتفاضة في وجه الظالم ، ومن يقف وراءه ويستتر بدرع وآله العسكرية العجيبة.

أننا أزعم أن عوامل الشبه وتقاسيم الملامح تنتتهي هنا ، ليبدأ مفترق طرق قاد تجربة جنوب افريقيا نحو الانتصار ، بينما قاد قضية فلسطين نحو وضع أقصى من الاحتلال المباشر ، وأفظع من التسليم بمفرداته التي تلاشت مع الدخول الهزيل لقوات القمع الفلسطينية الناشئة.

لماذا نجح «مانديلا»؟

هذا التساؤل الملح طرحه العديد من المراقبين والمهتمين والمندeshين ، وهم يرون «نلسون مانديلا» يُقسم رئيساً للدولة الجديدة في جنوب افريقيا ، وأكثر ما أثار دهشة هؤلاء هو مقارنة مصير فلسطين المظلم بالرغم من عدالة قضيتها مع واقع مشروع «مانديلا» الذي انتهى إلى انتصار باهر ولهذا التساؤل مكانه المشروع وأهميته البالغة.

لقد اجتمع لمشروع «مانديلا» القائم عدة عوامل لا بد من وضعها في الحسبان عند تناول القضية ، بعضها يمكن الإفادة منه كونه تجربة بشرية وتحركاً إنسانياً يستفاد منه ، لاسيما لأولئك الذين تصدوا لحل مشكلة فلسطين من أبناء جلدتنا ، نجح «نلسون مانديلا» بعد ثمن باهظ وكفاح لاشك في مرارته ، فقد نفي هذا الرجل الذي حمل قضية أبناء جلدته إلى جزيرة روبن عام ١٩٦٤ م ومكث في السجن أربعة وعشرين عاماً ، حمل فيها هم أمته ، ويقول تعليقاً على ذلك: «طردت من الجامعة في أول سنة لي فيها ، وكنت ابن تسعة عشر عاماً بعد أن قدت اعتصاماً داخل مبنى الجامعة ، بعدها عرفت أن هذا الطريق مليء بالمفاجآت وأن هذه البداية ، مجرد بداية» ، ولم يثن هذا الأمر «مانديلا» عن قناعاته ، فظل تحت المراقبة والملاحقة حتى اعتقل عام ١٩٥٦ م لمدة عام بتهمة إثارة الشعب ، ثم أعقب ذلك قرار بحظر نشاط «المؤتمر الوطني الأفريقي» فاندفع «مانديلا» نحو العمل السري وانشأ عام ١٩٦١ م جناحاً عسكرياً تابعاً للمؤتمر ، وإثر ذلك اعتقل ثم أدين عام ١٩٦٤ م ، وحكم عليه بالسجن المؤبد وحينذاك قال: «ظننت أن الحياة لا طعم لها بعد شهور من السجن.. كدت أن أنس ما معنى الحياة ، لكنني لم أنس أنني كنت أعيش لقضية تستحق أن أدفع حياتي ثمناً لها فضلاً عن أن أنساها..».

ولنا أن نقارن بين هذا الرجل الضال الذي كان يتخذ من الماركسية نموذجاً بالرغم من نصرانيته ، وبين قيادات العار التي قادت قضية المسلمين الأولى كانت قيادة المنظمة تعيش في الفترة التاريخية نفسها ، ولكن ممارستها أبعد ما تكون عن طريق التضحية التي مارسها كافر ، فضلاً عن متابعة طريق الحق والرشاد ، لقد رفض «مانديلا» أن يفرج عنه ليمضي كدمية تقبل بشروط المؤسسة الحاكمة في جنوب افريقيا ، وفضل السجن على الحرية العوراء ، حدث هذا مرتين عام ١٩٧٣ م وعام ١٩٨٤ م ، ولما كان يسأل كانت إجابته: «لقد سجنتم لرفض التفرقة العنصرية ، وسأقبل الإفراج عني شريطة أن ترفع هذه التفرقة البشعة» ، لقد قبل «مانديلا» السجن لمدة ربع قرن ، ثم اضطر الجلادون أن يفرجوا عنه بعد ما رأى العالم كيف يستطيع فرد أن يرتفع بقضية إلى الآفاق البعيدة ، وكيف تستطيع قيادات أخرى أن تهوي بشعبها وتاريخها ودمائها إلى تلك الهوة السحيقة ، وهي تعيش عيشة الأباطرة ، وتمارس النضال على الفرش الحريرية والبسط الحمراء ، ثم تُقَتِّلُ كالطيور المرعوبة في قصورها الصغيرة أو على الشواطئ حيث لقي بعض قادة التهريج النضالي

لقضية فلسطين حتفهم وهنا يحضرني مقال «زهير محسن» الذي اغتيل في مدينة «كان» الساحلية بفرنسا حيث كان يمارس النضال السياحي!! بعيدة هي القيادات الفلسطينية بأنانياتها وتهريجها وقصر نظرها ونزقها وطفولتها السياسية ، مقارنة بالمواصفات القيادية المتميزة التي صقلت التجربة والممارسة في المثال الذي نطرحه للمقارنة.

لقد علق «جفري برثولت» المعلق الأمريكي على هذا البون الشاسع بقوله: «قيادة تصنع الحدث وأخرى تلهث لتظل في دائرة الحدث» ، ونحن نقول: قيادة تعرض عن شعبها وعقيدتها وعمقها لتظل تحكم ولو شبراً من الطين وأخرى ترفض أن تتاجر بالآلام من انتمنوها على قضيتهم حاضرهم وغدهم.

إن من الظلم بمكان أن نقارن بين القيادتين رغم المعطيات المتعددة التي سنحت لعرفات وشركاه فأصروا دوماً على أن يختاروا مقعد القيادة بأي ثمن ولو كان هذا الثمن باهظاً وغالياً وثمانياً ، كقيمة القدس ومنزلة الأقصى في قلب كل مسلم ، إن من المفارقة حقاً هنا أن شعب فلسطين قد خاض حرباً ضروساً في وجه الاحتلال تزيي ضراوتها وتضحياتها على تلك التي شهدتها جنوب افريقيا ، لكن جهاد الشعوب قد يذهب أدراج الرياح في ظل قيادات الترهل والعجز ، وهذا أبلغ الدروس التي يجب أن يستفيد منها الشعب الفلسطيني الآن ، وهو يشهد بالرغم من الاتفاق الهزيل ذروة اشتعال المقاومة والجهاد ، فالقيادات التي سطرت الاتفاق الهزيل بأي ثمن سيطويها الزمن ، وحينها ستظهر الأحداث القيادات الراشدة التي تصبر وتصابر وترفض الانحناء إلا لربها ، وهناك ستبدو تجربة «مانديلا» حتى من الناحية القيادية ضئيلة ، ولكم أن تتأملوا بذرة الصمود التي وضعها الشيخ المقعد المصابون «أحمد ياسين» ، وهو يواجه بجسده المشلول أعنى قوى الجبروت الوحشية.

وإذا وضعنا في الحسبان الفارق بين القيادتين ، نجد عاملاً آخر لا يقل أهمية عن هذا العامل ، وهو يتمثل في جوهر الصراع في فلسطين ، حيث يمثل ذلك الصراع امتداداً للحرب الصليبية اليهودية التي شنت على أهل التوحيد المضطهدين في الدعوة ، وحتى ظهور الملاحم والفتن ، فالحرب في جنوب افريقيا كانت لا تحمل البعد العقدي ، بعد أن روض الرجل الأبيض افريقيا السمراء ونصرها وألحقها بمنظومته الحضارية ، وإن كان ينظر إليها نظرة العبد المقود والمسيحي الوضع ، فالإسلام إذاً غائب عن هذه المعادلة ، وفي ظل التغيرات الدولية وانقشاع خطر الشيوعية ، وتحول «مانديلا» من شيوعي أحمر إلى متعصب للرأسمالية وأنصار الليبرالية بمفهومها النصراني وجذورها اليونانية فلا يوجد سبب للقلق داخلياً أو خارجياً ، فهذه الدولة ستظل انعكاساً لحضارة الرجل الأبيض تستورد قيمه ومبادئه وديموقراطيته ، وستهتم بقضاياها الداخلية وكيف تحسن من وضع الإنسان الأسود المسحوق ، الذي سيدور في النهاية حول رحى القوى الغربية ، «لن يكون (مانديلا) خطراً على الحضارة الغربية فليس لديه (جرثومة الأصولية) أو فكرة نشر (حضارة مغايرة)» كما يقول المعلق الأمريكي «ساوندروز» ، بينما نرجع إلى فكرة «جفري برثولت» عن ماهية الصراع العربي الإسرائيلي ، حيث يعلق على دخول اتفاق غزة/أريحا أولاً حيز التنفيذ بقوله: «سواء أكان هذا حسناً أو سيئاً فإن جنوب افريقيا اليوم تتعامل مع واقعها الشاب ، ومهما لكان الماضي قاسياً وخاطئاً فإنه من البقايا التي ينظر إليها بسماح وعفو ، أما هناك في الأراضي المقدسة فإن الوضع يختلف فالتاريخ حاضر ، منذ إبراهيم عليه السلام الذي يعتبر نبياً لدى اليهود والمسلمين ، وهذا الماضي يطل كسحابة داكنة يحكم الحاضر ونقاشاته ، ويسحبه إلى الوراء بالرغم من توالي القرون...».

الصراع حتى في منظور أولئك المحايدون نظرياً صراع عقدي حضاري طويل ولاهث لا يمكن حله على الطريقة «المانديلية» ، لأن المعادلة فيه أن نكون أو لا نكون ، والغرب يرفضنا مهما تصنعنا الذل وتعلمنا العبودية لأن الحق أخبرنا أن هذا النفق ليس له من مخرج إلى أن نتبع ملتهم كما اتبع

«مانديلا» ملتهم ، فرضوا عنه ، ولكن ضمن المعادلة نفسها ، التابع والمتبوع ، السيد والعبد ، الأبيض «السوبرمان» والمملوك المنبوذ.. ونتيجة لذلك العامل وذلك الإطار ، فقد نجح «مانديلا» حينما أثبت للغرب أن قضيته معه محصورة في رفع التفرقة غير الإنسانية التي تمارس ضد السود من بني جلده ، وفي سبيل هذا سعى منذ خروجه من السجن قبل ثلاث سنوات إلى إثبات اندماجه العضوي ضمن قواعد ومفردات الغرب النافش ريشه اليوم ، أعلن بعد خروجه من السجن تمسكه بالليبرالية الغربية وديمقراطيتها وتجاربها الغربية الرائجة ، ثم أعلن بلا موارد أنه كان مخطئاً أو مبالغاً في إعجابه بالشيوعية أو الاشتراكية ورغم كونهما نبتتين غريبتين ثم خطى الخطوة المهمة والحاسمة حينما أدرك بعد جولته التاريخية الولايات المتحدة بعيد الإفراج عنه ، أن عليه أن يتقرب ويتودد لليهود العالم ، فأعلن دون تردد عن بالغ أسفه واعتذاره عن موقفه السابق والقاتل بأن الصهيونية صورة من صور العنصرية ، إنها ليست كذلك ، هكذا اكتشف الزعيم الواقعي قواعد اللعبة وحصل على جواز السفر الذي قبل بموجبه عضواً بارزاً ورصيماً مهماً ، فزاد هذا من بريقه ولمعانه ، فقصته وتاريخه وكفاحه ثروة وجهت نحو رصيد هائل لنجاحات الغرب ، ومن يقبل أن يوظف كل هذه المعطيات المهمة في اللحظة المناسبة وبالأسلوب الذي يكفل إعادة التأهيل ، ثم الانطلاق في شرايين هذه الحضارة المتوحشة التي توظف كل من يقبل بشروطها وقواعد لعبتها.

الحقيقة التي تصفنا:

الحقيقة التي تصفنا شئنا أم أبينا أن نموذج غزة/أريحا أولاً هو نموذج إقليم «بانتوستان» وهو إقليم كان يقطنه السود في ظل الحكم العنصري البائد ، ويحكمون أنفسهم ذاتياً ويمارسون فيه ضبط العناصر التي تقلق أمن البيض كما يجمعون القمامة بطريقتهم الخاصة ، ويوزعون الحصص الدراسية حسب اتفاقهم ، ويحق لهم سماع طبولهم التقليدية ، وإصدار الطوابع التي تحمل اسم «الكانتون»!! ، لكن كان لهم حرية أكبر في المجال الاقتصادي وعبور البشر والتجارة الخارجية. لقد رفض «مانديلا» دولة «بانتوستان» ليقبل «فخامته» بأقل منها بكثير بعد شهور من إراقة ماء الوجه والمفاوضات الشاقة التي انتهت بمهرجان التوقيع الأخير الذي أثبت للعالم الذي كان يتابع حفل الاتفاق أنه يشاهد مسرحية بكل ما تعنيه الكلمة من قيمة ترفيهية ، وأن التهريج السياسي قد يكون أكثر فكاها من الترفيه التجاري القائم.

إن الحقيقة التي تصفنا اليوم تقول لنا مرة أخرى: إن علينا أن نختار موقعنا في الوجود، فإما أن نكون وإما أن لا نكون ، لأن الحل المطروح والقيادة الحالية في شأن القضية الفلسطينية يقودان حتماً إلى الاندماج في الكيان الصهيوني ، والالتحاق بركب المنتصر الذي قهرنا بالسلاح الفتاك دهرأ ، ثم روضنا إلى شباكه تحت شعار السلام والاستقرار والسوق الشرق أوسطية. إن العالم اليوم لا يعترف إلا بلغة القوة ومفرداتها ، ولا يؤمن إلا بجبروت المنتصر الذي يمارس استعمار بهشتي الطرق والوسائل السياسية والاقتصادية والإعلامية ، ومن كان يصدق أو يلهث وراء المبادئ والشعارات فعليه أن يتأمل في واقع البوسنة ، ودفاع «مانديلا» السابق عن حق فلسطين في الوجود وتجريم الصهيونية الغاشمة وجرائمها.

لازلت أتذكر دفاع بعض الدعاة والإسلاميين الحار عن «مانديلا» الذي وقف في وجه الصهيونية واليهود ، أما اليوم فالأحداث المتوالية والحقائق الدامغة لا تفسح مجالاً لأنصاف الحلول أو التميع أو التسطيح ، ولهذا نال شعب افريقيا الجنوبية حريته وفق قانون ومعايير الغرب النصراني ، بينما نال شعب فلسطين ومجاهدوه المصريون على المقاومة هدية رمزية وهي قوة قمع

تطارد فيه روح الإسلام الذي هو المستهدف في هذا الصراع ، وشتان بين مظلوم ينال حريته ، ومقموع يصب عليه مزيد من القهر والعسر الذي لا بد أن يعقبه اليسر ، حسب وعد الله المحتوم.

نص شعري .. في الغابة الجديدة ..

فيصل بن محمد الحجي

أنا في الغابة قد أحرق بي	خطرٌ يُنذرني بالعطب
أنا في الغابة وحدي أعزلٌ	خائفٌ مضطربٌ كالأرنب
ضارياتُ الغاب حولي كثرّت	عن نيوب كسياط اللهب
ليس لي منها نصيرٌ منقذ	ليس لي في طوقها من مهرب
والردى يرقبني من مقلب	أو من الناب وسُم العقرب
ما جدى الحيلة حين امتزجت	قوة الليث بمكر الثعلب؟
آه يا ربي أغثنني.. إنني	تائبٌ.. والأمن أقصى مطلبي
فبدا (سعدٌ) صديقي قادمًا	حاملاً سيفاً شديداً المضرب
فتعانقنا فيا.. يا مرحبا	بصديق مُسعف في الكُرب
وجلسنا بأمان راسخ	وتوارى الخوف خلف الحُجب
وتذاكرنا لقاءات الصبا	وتهادينا قطوف الأدب
واختلفنا بحديث عابر	وتشأتمنا لأدنى سبب
وتفرقنا كما يقضي الجفا	عندها أيقنتُ أنني عربي!!

لم تكن أعمالنا تودي بنا لو تخلقنا بأخلاق النبي!

المسلمون والعالم رسائل عاجلة إلى الشعب اليمني المسلم

أيمن بن سعيد

وصلتنا هذه المقالة من الكاتب الكريم، وهي في الحقيقة لسان حال كل مسلم مخلص لإخوانه شعب اليمن ، لعل الله أن ينفع بها كل من تصل إليه منهم .

-البيان-

أيها الشعب اليمني المسلم في كل مكان ، يسرنا أن نبعث إليك هذه الكلمات من منطلق الأخوة ، وواجب المحبة التي فرضها الله بين عباده المؤمنين رغبة منا في القيام بواجب النصيح الذي أوجبه الله تعالى على المؤمنين تجاه أنفسهم وإخوانهم ، مخاطبين من خلالها إيمانك وحكمتك لما جاء في الحديث الصحيح: (الإيمان يمان...) ، مذكرين بسابقتك في التمكين لهذا الدين ونشره في جهات كثيرة من الأرض ، وببذلك في سبيل تحقيق ذلك النفس والنفيس، ونحن أيها الشعب المؤمن الأبى

حين نتوجه إليك بتلك الرسائل نخطبك من خلالها بأسلوب الناصح المشفق عليك، وحاشا لله أن يكون هدفنا التعالي عليك، أو التشفي منك لما ينزل بساحتك ، وذلك لأنك جزء منا ونحن جزء منك ، فما يصيبك يصيبنا ، وما يسوؤك يسوؤنا ، قال -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، ولذا فإننا نحرص على الوضوح والمصارحة لك قدر طاقتنا، مبررين ذلك بعلمنا لحبك للحق ، وسعة صدرك له ، واستعدادك لقبوله.

أيها الشعب اليمني المسلم: إنا نتابع بقلق وخوف ، ما يقوم به بعض القادة الحاكمين بأمرهم على أرضك من سفك للدماء ، وإزهاق للأرواح وتدمير مكتسبات الأمة وخيراتها ، وكل ذلك من أجل الحفاظ على مناصبهم وتثبيت كراسيهم ، واستمرار نفوذهم ، ونظراً لوجود غش في تصور الكثيرون وبخاصة من أنبائك تجاه تلك الأحداث ، ووجود تباين كبير في المواقف من شخص إلى آخر ، قمنا بتوجيه هذه الرسائل المختصرة إليك ، والتي نلقي من خلالها بعض الضوء على ما يمر بك اليوم من أزمة ، محاولين تنبيه أولئك الأشخاص إلى الموقف الحق في هذا الأمر الجلل ، علها أن تجد قبولاً فينفع الله تعالى بها ويسدد ، وجاء الآن دور الشروع في تلك الرسائل:

الرسالة الأولى الذنوب سبب الأزمة:

أيها الشعب اليمني المسلم من الأمور المتقررة في الشرع أنه مانزل بلاء بأحد فرداً أو شعباً إلا بذنب ، وما حلت مصيبة إلا بمعصية ، قال تعالى: ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)) [الشورى: ٣٠] ولقد انتشر في الساحة اليمنية في السنوات الأخيرة العديد من الذنوب والمعاصي فمن قيام الدولة الموحدة على دستور علماني مشبوه كان لعلمائك الأفاضل منه موقف صريح معروف ، إلى إفساح المجال للأحزاب العلمانية على اختلاف مشاربها لتقذح في الدين ، وتجذب إليها بعض أبناء المجتمع ساعية إلى إقصاء شرع الله تعالى ونشر التغريب والعلمنة في المجتمع تحت شعاراتها البراقة المختلفة كالتحديث والتطوير والعدالة... الخ ، إلى محاربة الدعاة والمصلحين ومحاولة إجهاض مكتسبات الأمة الموافقة للشرع في التعليم وغيره ، إلى تجديد الكنائس في بعض المدن والسماح لوجود نشاط تنصيري قوي في القطاع الصحي وبين العاملين من المسلمين في شركات التنقيب عن النفط ، إلى انتشار الربا ، وتفشي صناعة الخمر وتعاطيها ، إلى عودة ظهور أهل البدع والخرافة وبقوة من رافضة وصوفية وإسماعيلية ، إلى ضعف القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم ، إلى ازدياد تعلق كثير من الناس بالدنيا وقللة استمسакهم بتعاليم الشرع ، إلى اختلاف أهل الخير وتفرقهم وعدم اجتماعهم على كلمة سواء ، إلى غير ذلك من المنكرات الكبيرة والصغيرة التي لا تحصى .

أيها الشعب اليمني المسلم: إن الطريق إلى تجاوز المصائب والبلايا التي حلت بك يكمن في العودة الصادقة على وجه السرعة إلى الله تعالى ، والالتزام بكل جد بشرعه المطهر ، والقيام بنبذ تلك المنكرات ومقاومتها سواء أكانت عامة أو خاصة ، وذلك لأنه ما دفع بلاء إلا بتوبة ، قال الله تعالى: ((فلولا كانت قرية آمننت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)) [يونس: ٩٨].

الرسالة الثانية ضرورة الالتفاف حول العلماء والدعاة:

أيها الشعب اليمني الأبى: إن العلماء الناصحين ، والدعاة المخلصين هم مصابيح الأمة وشموعها التي تضيء لها الطريق في الظلم ، وتقودها إلى بر الأمان في النكبات والفتن ، وقد أمر الله تعالى بسؤالهم والأخذ عنهم في قوله عز وجل: ((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)) [النحل: ٤٣] ، وذلك لأنهم العالمون بدين الله تعالى ، العاملون بتعاليمه ، الداعون إليه ، المنافعون في سبيل تمكينه ،

المحاربون لأعدائه ، فوجب لذلك الالتفاف حولهم ، للأخذ عنهم ، ومناصرتهم وشد أزrهم أمام أعدائهم الذين يكيدون لهم ، ويمكرون بهم ، لا لأشخاصهم ، وإنما لما هم عليه من دعوة للحق ومنافحة للباطل.

أيها الشعب اليمني: إننا حين ندعوك إلى الالتفاف حول علمائك ودعاتك المخلصين، نحذرك في الوقت نفسه من فئة تريد الاندساس في صفوفهم لتمييق كلمتهم، وتحذير الناس من الأخذ عنهم، وهـم قلة والله الحمد، ولكن علامتهم الواضحة التي لا يستطيعون إخفاءها بالإضافة إلى انحراف مناهجهم وما هم عليه من خرافات وبدع وحب لمتع الحياة وشهواتها ولاؤهم لأعداء الدين من العلمانيين والاشتراكيين ، ومحاولة تبرير انحرافاتهم وجرائمهم في حق الدين والأمة ، والسعي إلى جعل سيئاتهم في نظر الشعب حسنات ، وشرورهم خيرات.

الرسالة الثالثة الوحدة مطلب ومكسب:

أيها الشعب اليمني: إن الوحدة بين الشعوب الإسلامية ومنها الوحدة بين اليمنيين مطلب يدعو إليه الشرع ، ويحث عليه العقل ، وتحتمه المصلحة وهو طريق العودة إلى الأصل بعد أن مزقه الأعداء وشتته المستعمرون إلى دويلات هزيلة، إلا أن الوحدة التي تقوم على دستور علماني مشبوه وقيادات وأحزاب لا هم لها إلا ذواتها وأطماعها الشخصية ، لن تؤدي إلا إلى مزيد من الفرقة والتمزق ، ولن تكون الوحدة عندها إلا وسيلة تتعارض أو تتوافق مع هوى القيادات ، وتتناقض المواقف بالتالي بحسب ما تقدمه هذه الوحدة باعتبارها وسيلة يستخدمها كل طرف سلباً وإيجاباً في صراعه مع الأطراف الأخرى ، وتبقى الوحدة الحقيقية التي تجمع للأمة قوتها وتصور حماها ويحكم فيها شرع الله ومنهجه ، مطلباً للأمة ومكسباً تحرص عليه وتسعى إليه ، مهما سببت هذه النماذج المشوهة من انطباعات سيئة عن الوحدة.

الرسالة الرابعة الأخوة الإسلامية أولاً:

أيها الشعب اليمني: أوجب الله تعالى التأخي والتآزر بين المؤمنين ، ودعاهم إلى التواد والتناصر ، فقال عز وجل: ((إنما المؤمنون إخوة)) [الحجرات: ١٠] ، وقال سبحانه: ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..)) [التوبة: ٧١] ، وحذر تعالى من تأخير مرتبة تلك الأخوة الإيمانية ، وقيام الشخص بتقديم أخوة النسب أو الوطن عليها ، فقال عز وجل: ((قل إن كان آبؤكم وأبنؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين)) [التوبة: ٢٤].

ولقد أحدثت الأزمة اليمنية شرخاً في مبدأ الأخوة الإيمانية لدى أفراد كثيرين ، حيث ظهرت الكراهية ، ووجدت نفوس مريضة ترضى بنزول البلايا وحلول المصائب على الآخرين ، بل وتتمنى حدوث ذلك بهم ، بالإضافة إلى كونه قد برز في الساحة دعاة القبلية والمناطقية ، وبدأ أشرار بإثارة التعصب المذهبي بعد أن كاد أن يخمد ، رغبتهم منهم في تفجير الوضع وقيام الحرب الأهلية بين أبناء القبائل والمناطق والمذاهب المختلفة ، ولعل أكبر الجهات جرماً وأعظمها تسبباً في ذلك الإعلام الكاذب الذي تأثر به الكثيرون ممن ضعف وعيه ، وغاب لديه أثناء تبنيه المواقف وحكمه على الآخرين الانطلاق من نصوص الشرع وجعلها دليلاً وحاكماً في ذلك ، أو ممن ليس بضعيف الإيمان ولكن قلت معرفته بالمقاصد وضعفت نظرته إلى المرامي والغايات التي يطمح إلى تحقيقها من يقف خلف تلك الوسائل الإعلامية المختلفة.

أيها الشعب اليمني: وعلى ضوء ذلك فإن الحل يكمن في الاستمساك بنصوص الكتاب والسنة ، والتأسي بهدي سلف الأمة في العلم والعمل والدعوة والمبادرة إلى تقديم الأخوة الإسلامية على جميع

الروابط والوشائج المختلفة سواءً أكانت قبيلة أو منطقة أو غير ذلك، والسعي إلى تطبيق لوازم تلك الأخوة من محبة ونصرة وتكافل في أرض الواقع ، مع القيام بنبذ ما وراء ذلك من كراهية وحقد ، وعصبية وتعد على الآخرين في أموالهم أو أعراضهم أو أنفسهم.

أيها الشعب اليمني المحب للحق: يا ترى هل يبادر من أفرادك من قصر أو انحرف في هذا الجانب إلى تلافي أخطائهم والتكفير عن زلاتهم؟ هذا ما نلظنه بهم ونرجوه منهم

الرسالة الخامسة خطورة تحقق الانفصال:

أيها الشعب اليمني: إن مخاطر كبيرة تنتظرك أنت ، وستنعكس على بلادك حينما يتمكن الحزب الاشتراكي من السيطرة ، حيث سيقوم بالقضاء على خصومه ، كما أنها تنتظر جنوب وشرق بلادك في حال تحقق الانفصال وتمكن الحزب من الانفراد بها ، ولعل أبرز المخاطر المتوقعة: تطبيق الحزب لما يسميه بمشروع الحزب الحضاري الذي يصفه على السنة عدد من مسؤوليه بالتحديث والتطوير وتجاوز النظم القديمة والقيم البالية!! وملخص حقيقة ذلك المشروع: تغريب المجتمع وعلمنته ، وإقصاء شرع الله تعالى ومحاربتة وإحداث تغيير في قيم ومبايئ شعبنا المسلم عن طريق علمنة المناهج وإقصاء أهل الخير والصالح عن مواقع النفوذ ومراكز التوجيه ، وضرب الصحو الإسلامية عن طريق تجفيف منابعها ، وتحجيم انتشارها ومطاردة أفرادها بأي ذريعة من مثل: مساندتها لمن سيسميهم في حال قضائه عليهم بالقوى الشريرة أو الاتهام بالتطرف ودعم الإرهاب... الخ ، هذا بالإضافة إلى تشجيع السفور والاختلاط ، وتمرد المرأة على القيم والمبادئ الإسلامية.

وهناك خطر آخر وهو إبراز الحزب لعلماء البدعة والخرافة كالرافضة والصوفية حلفاؤه منذ قيام الوحدة إلى اليوم وجعلهم (وجهه الإسلامي) واستخدامهم ورقة بيده يضرب بها الحركة الإسلامية السنية على اختلاف فصائلها متى شاء ، كما أن الحزب سيسعى في حال انتصاره إلى إنهاء جميع خصومه في الشمال والجنوب ، وجعل الساحة فارغة له ولحلفائه ، مما يعني إسالة أنهار من دماء أبنائك أيها الشعب في جهات كثيرة من أرضك.

أيها الشعب اليمني المسلم: ونحن نحذرك من خطورة تمكن الحزب الاشتراكي وكل حزب علماني ، ونقوم بدعوتك إلى مواجهة تلك المخططات بكل سبيل من الآن قبل أن يأتي وقت تندم فيه ولايات حين مندم ، فإن ذلك لا يعني بحال أننا نؤيد المؤتمر الشعبي ، فكم جرب الدعاة في بلدك تقلبات قاداته المتكررة ، ووعودهم بتصحيح الانحرافات حين تحاصرهم الضائقات ، ثم ما إن ينفك قيد المحنة حتى يعودوا إلى علمنتهم وضلالهم.

الرسالة السادسة يا شعب اليمن أنت مستهدف!

أيها الشعب اليمني الأبى: يا من عرفت بعزتك ، وشجاعتك وقوة شكيمنتك ، وعنايتك بما يعينك على حفظ كرامتك سلاحك إنك مستهدف من قبل أعدائك في الداخل والخارج، وإن التنسيق بين العدوين الداخلي والخارجي قد ازداد وبلغ الغاية ، بل قد بدءوا بالفعل في تنفيذ مخططهم ضدك ، فبعد ضرب جيشك يراد تمزيقك ، وإثارة الحروب الأهلية بين فصائلك المختلفة تحت ذرائع شتى كالمناطقية والقبلية والمذهبية لتضعف أولاً، ويتم نزع سلاحك ثانياً ثم يتم ترويضك وسلب عزتك وإذهاب كرامتك ، ليتمكن بعدها أعداؤك من تغيير هويتك وتقسيم أرضك ، وسلب خيراتك ، وفعل ما يشاء أعداؤك بك.

أيها الشعب اليمني المسلم: لقد حاولت القوى الدولية استعمارك ولكنها فشلت في تحقيق هدفها ذاك في جل مناطقك ، فهيات بعض أبنائك ، وربتهم على عينها ليتآمروا معها ضدك ، فيا ترى هل تقف أمام أهداف أولئك ومخططاتهم كالجبل الأشم فتحرمهم مما يريدون ، ولكننا نعلم أنك لن تتمكن من ذلك إلا

باستمساكك بدينك ، وإدراكك لمخططات أعدائك ، وحفاظك على وحدتك وسبل قوتك ، نسأل الله تعالى أن يجنبك ما يريده أولئك لك.

الرسالة السابعة ضرورة اجتماع الدعاة وترتيبهم للأولويات:

أيها الشعب اليمني المسلم: إن الدعاة إلى الله تعالى في صفوفك فئة منك ، ولذا نستميحك العذر بأن نخصهم بهذه الرسالة الأخيرة.

أيها الدعاة إلى الله تعالى في اليمن: إن المسؤولية على عواتقكم كبيرة وإن من أبرز أسباب الأزمة غفلة بعض الدعاة وتقاعسهم عن القيام بواجبهم بالكلية ، وقيام بعضهم بشيء من ذلك ، ولكن من دون ترتيب للأولويات والمبادرة إلى البدء بالأهم قبل المهم ، والواجب قبل المندوب ، هذا بالإضافة إلى عدم التشاور بين الفصائل الدعوية في القضايا المطروحة بهدف التنسيق بين المواقف الذي حال دون التمكن من الوصول إلى اتخاذ موقف موحد حيالها.

أيها الدعاة الصادقون: إن تشرتكم وتفرقكم النابع في غالبه من اختلافات شخصية، وسعي بعضكم إلى إلغاء الأطراف الأخرى ، وجعلها تحت لوائه ، وقيام بعضكم بحصر وظيفته في تتبع عثرات الدعاة والقيام بنشرها وتحذير الناس من الالتفاف حولهم من خلالها مع كون ذلك محرماً في الشرع يمثل خطراً كبيراً على وجودكم في الوقت الراهن، ويهيئ لبعض الجهات استغلال بعضكم مرحلياً لضرب الآخر ليتم في ما بعد حفر الخنادق لمن بقي منكم وإقائهم فيها.

أيها الدعاة المخلصون: إن دوركم داخل شعبكم اليمني يجب أن يكون مبنياً على ركيزتين: الأولى: تعليم الناس العقيدة الصحيحة التي كان عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام ، والقيام ببنائها في نفوسهم ، والسعي إلى إيجاد لوازمها وآثارها في حياتهم العامة والخاصة.

الثانية: هدم الكفر والبدع والمعاصي ومحاربتها والقيام بتحذير الناس منها وبالحكمة، فإن أغفلتم هاتين الركيزتين ، أو قام بعضكم بإحداهن واستهجن واستهان بمن يقوم بالأخرى فقد زاع وانحرف. أيها الدعاة إلى الله تعالى: احذروا فإن الخطر الذي ينتظركم من جراء الأحداث الأخيرة كبير وماحق ، فأعداؤكم يريدون فرض العلمانية في بلادكم ويسعون إلى تجفيف منابعكم وحصاركم ، والتضييق عليكم جميعاً من دون تفريق بينكم ، والإتيان بأخريين من أهل البلاغة والضلالة ليقوموا بالدعوة إلى باطلهم باسم الإسلام بدلاً منكم ، فيا ترى هل تتقون الله وتنتبهون لذلك فتبادروا إلى ترك الشقاق والفرقة بينكم وتعودوا جميعاً إلى الأخذ بصدق بمنهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان في العلم والعمل والدعوة؟ أيها الأحبة: هذا ظننا بكم ، وهذا ما نؤمله منكم ، والله يحفظكم ويرعاكم. وختاماً أيها الشعب اليمني المسلم: نسأل الله أن يصونك ويحميك وأن يمكنك من نصره دينه ، وهزيمة أعدائك الذين يكيدون لك في الداخل والخارج والله يحفظك ويتولاك. ((إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)).

أحداث راوندا

رسالة إلى كل من أمن مكر الله

د. يوسف الصغير

إن الذي يطلع على ما يتعرض له الأبرياء من إبادة في «راوندا وبورندي» لا يملك إلا أن يتأثر ويتألم ويسأل نفسه: ألهذا الحد تنتكس فطرة الإنسان فيقتل لمجرد القتل والانتقام العام؟ ألهذا الحد رخصت الحياة على بني البشر؟!

إن غياب أخلاق المحاربين يدل على خواء الحضارة الحالية ، فمعظم شعبي «راوندا وبورندي» تربوا على يد الكنيسة سواء الكاثوليكية أو البرتستانتيّة وعمّد الناس وغمسوا في الماء المقدس! ونالتهم بركات القُسس! ومع ذلك فهم أكثر همجية ووحشية لأنهم جمعوا أخلاق الوثنيين مع طبائع الغربيين في إدارة الصراع التي تتلخص في الإبادة الجماعية التي تحل كل إشكال ، لقد كان للإسلام وجود كبير في المنطقة انحسر مع قدوم المستعمر ، أفليس من حقهم أن نهتم بهم لعل الله أن يحدث بعد ذلك أمراً!

الموقع والتاريخ:

تقع «راوندا وبورندي» في وسط أفريقيا ضمن المنطقة الاستوائية ، وقد ساعد ارتفاعهما على اعتدال مناخهما مما يفسر كثافة السكان العالية فيها ، مقارنة بدول الجوار ، حيث تبلغ الكثافة ١٦٠ شخص في الكيلومتر المربع ، وتبلغ مساحة «راوندا» حوالي ٢٦ ألف كم ٢ ، ويقطنها حوالي أربعة ملايين وربع المليون نسمة ، أما «بورندي» فتبلغ مساحتها حوالي ٢٧ ألف كم ٢ ، ويقطنها خمسة ملايين ونصف المليون نسمة ، وقد وصلهما الإسلام في فترة متأخرة مع امتداد نفوذ سلطان عمان وزنجبار ، وكانت السيادة فيهما للمسلمين ، وعندما اتفقت الدول الأوربية في القرن التاسع عشر على توزيع المستعمرات فيما بينها منعاً للنزاعات ، أصبحت تنجانيقا أو البر التتزازي حالياً من نصيب ألمانيا واللونغو «زائير حالياً» من نصيب بلجيكا ، وحيث أن بورندي وراوندا تقعان بين هاتين المنطقتين ، فقد قام الألمان أولاً بتوسيع نطاق مستعمراتهم إلى المرتفعات ، فتمت لهم السيطرة على كل من بورندي وراوندا ، ونظراً لقلة الألمان في المنطقة وركي المسلمين الحضاري مقارنة بالقبائل الوثنية آنذاك ، فقد اضطر الألمان للاستعانة بالمسلمين من أجل شغل الوظائف المختلفة ، وعندما قام الألمان بمد خطوط السكك الحديدية في المنطقة ، ازدهرت أحوال المسلمين وانتشروا في أنحاء البلاد وكثر دخول الوثنيين في الإسلام.

وقد قام المسلمون بعدة ثورات ضد الاستعمار الألماني بدءاً من حركة «بشر بن سالم» عام ١٣٠٧ هـ وانتهاءً بحركة «ماجي ماجي» الوطنية التي أخمدها الألمان بعنف وهمجية ، حيث قاموا بإحراق القرى وقتل الألوف من المدنيين ، وقد أدت هذه الحركة إلى تغيير سياسة الألمان ، فعمدوا إلى المهادنة والسماح من جديد بحرية الدعوة ، وقد استمر هذا الوضع حتى قامت الحرب العالمية الأولى بين ألمانيا وحلفائها من الأتراك والنمساويين من جهة وبريطانيا وفرنسا وحلفائهما من جهة أخرى.

وكما كانت أوروبا مسرحاً للحرب فقد كانت المستعمرات أيضاً مجالاً لحرب أخرى حيث قام الانجليز باحتلال تنزانيا ، بينما استولى البلجيكي على راوندا وبورندي ، وهكذا تمت تصفية المستعمرات الألمانية في أفريقيا ، وتم تثبيت هذا الوضع بعد الحرب عن طريق إصدار عصبة الأمم قراراً يجعل بورندي وراوندا تحت الانتداب البلجيكي .

وهنا زاد الضغط على المسلمين في المنطقة ، حيث قام البلجيكيون بالقضاء على الممالك الإسلامية في شرق الكونغو التي تحاذي راوندا وبورندي وهدمت المساجد ، وأزيلت علامات الوجود الإسلامي ، أما في بورندي وراوندا فقد نشطت الإرساليات التبشيرية لمحاربة التعليم الإسلامي ، وقام الاستعمار بمصادرة أراضي المسلمين بحجة إقامة مشاريع عامة ، وأصبحت النصرانية ومدارس التبشير هي السبيل للحصول على كثير من المساعدات والميزات ، ولهذا

دخل كثير من الوثنيين ظاهراً في النصرانية حتى وصلت نسبتهم إلى ٧٠ % مقارنة مع ٢٠ % للمسلمين ، والباقي منهم وثنيون وحلت (لغة البلجيكيين) محل السواحلية (لغة المسلمين) ، وقبيل خروج الاستعمار ظاهراً في عام ١٣٨٢ هـ بدأت تظهر آثار السياسة الاستعمارية التي كان لها آثارها المدمرة بعد حوالي ٣٢ عاماً.

جذور المأساة:

إن أساس المأساة هو الاختلال الواضح في التوزيع السلطاني وتوزيع السلطة ، ففي بورندي وراوندا هناك قبيلتان تشكلان الأغلبية الساحقة من السكان هما: قبيلتي الهوتو (١٦ % منهم مسلمون) وهم من أصل زنجي والتوتسي (٣ % منهم مسلمون) وهم من أصل حامي ، وعلى الرغم من أن الهوتو أكثر عدداً فإن السلطة في يد التوتسي ، حيث أن ملكي بورندي وراوندا سابقاً كانا من التوتسي ، وقد اشتعلت الحرب بين الجانبين قبل خروج الاستعمار مع اختلاف في نتيجتها في بورندي عنها في راوندا ، وإليك ملخصاً لما جرى في كل بلد:

أولاً بورندي:

تبلغ نسبة التوتسي في بورندي ٢٥ % ، بينما تبلغ نسبة الهوتو ٦٥ % من السكان ، ومع ذلك استطاع التوتسي الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة الكلية على الجيش والشرطة والمناصب العليا ، مع تحول النظام إلى جمهوري عسكري ونظراً للاضطرابات المستمرة ومطالبة الهوتو بالمساواة ، فإن السلطة رضخت مؤقتاً فتم إجراء أول انتخابات ديمقراطية في البلاد في يونيو ١٩٩٣ م ، فاز بها حزب «الجبهة من أجل الديمقراطية» برئاسة «ميليشو ندادي» وهو من الهوتو وبالطبع اعتمدت خطة الرئيس على إدخال الهوتو في الجيش والشرطة التي كانت تقريباً وقفاً على التوتسي ، ولكن بعد أربعة أشهر قام الجيش الذي يسيطر عليه التوتسي بانقلاب عسكري تم خلاله إعدام الرئيس وستة من الوزراء وشكل قادة الانقلاب مجلساً للإنقاذ الوطني! برئاسة وزير الداخلية ، وفرّ بقية الوزراء إلى السفارات الأجنبية في العاصمة «بوجمبورا» ، وبعد معارك متصلة فشل الانقلاب وتراجع قادة الجيش عن المحاولة ، وحاولت القيادات التبرؤ من الانقلاب بدعوى أن العناصر الانقلابية غير منضبطة ، ومع ذلك استمرت أعمال القتل المتبادل بين الهوتو والتوتسي ، وقام الجيش الذي يسيطر عليه التوتسي بأغلب أعمال القتل ، وقد قتل أكثر من مئة ألف مدني أغلبهم من الهوتو ، ولجأ أكثر من سبعمائة ألف إلى خارج البلاد ، وكثير منهم إلى راوندا المجاورة ، واستقرت الأحوال مؤقتاً على بقاء الرئاسة بيد الهوتو حيث تولى الرئاسة «سيبريان نتارياميرا» وهو من الهوتو ، مع بقاء السلطة الحقيقية في يد التوتسي.

ثانياً راوندا:

تبلغ نسبة الهوتو في راوندا حوالي ٩٠ % من السكان ، ولذلك فقد حسم الأمر لهم مبكراً ، حيث قاموا بثورة على ملوك التوتسي الذي كانوا يستأثرون بالسلطة والمال ، ولم يتدخل البلجيكيون على الرغم من استعمارهم للبلاد ، وفي عام ١٩٦١ م أجريت انتخابات تم على إثرها إلغاء الملكية وتولى الهوتو الحكم ، ولم يستسلم التوتسي فقد كانت غاراتهم مستمرة من الدول المجاورة ، وبخاصة بورندي التي يسيطرون عليها ، وفي عام ١٩٧٣ م تولى الحكم الجنرال «جوفنال هابيا ريمان» بعد أن قام بانقلاب عسكري ، ونهج نهجاً اشتراكياً ، وكانت تربطه صداقة مع الرئيس الفرنسي «فرانسوا ميتران» ، مما مكنه من الاعتماد على الدعم الفرنسي في الوقوف في وجه غزو التوتسي لراوندا عام ١٩٩٠ م ، حيث قامت الجبهة الوطنية الراوندية المكونة أساساً من قبائل التوتسي بغزو راوندا قادمة من أوغندا التي تولت تسليح الجبهة.

وهكذا تعقد الوضع حيث أن التوتسي في كلا البلدين يحاولون استعادة سيطرتهم المطلقة ، وقد حصلت المأساة الأخيرة عندما تعرضت طائرة الرئاسة الراوندية للهجوم عند محاولتها الهبوط في مطار العاصمة الراوندية «كيغالي» وذلك بواسطة إطلاق الصواريخ عليها ، وقد كانت الطائرة تقل كل من رئيسي راوندا وبورندي وهما من الهوتو ، وهنا أشارت أصابع الاتهام إلى التوتسي وبدأت على الفور مجازر رهيبة في كل من بورندي وراوندا ، وبدأ مسلسل القتل ليس فقط على الهوية بل على الشبه فقط ، فمن يشبه الهوتو يتم قتله من قبل التوتسي ، ومن يشبه التوتسي يتم قتله من قبل الهوتو ، وقام حرس الرئيس الراوندي مع مجموعات من الهوتو بارتكاب مجازر رهيبة استعملت فيها الأسلحة النارية والسكاكين ، بل ومفكات «البراغي» أيضاً ، ولم ينج من المذابح المتبادلة طفل أو امرأة أو عاجز ، وبلغ عدد القتلى حوالي ٢٠٠ ألف قتيل ، بل ويصل في بعض التقديرات إلى ٥٠٠ ألف إنسان ، وأصبح من المعتاد أن ترى أكوام من الجثث مكدسة في الطرقات ، واستعرت الحرب من جديد بين جيش الحكومة وقوات الجبهة القادمة من أوغندا ، وسيطرت الجبهة على حوالي نصف البلاد ، ووصلت إلى العاصمة ، وما زال القتال يدور فيها مما أدى إلى نزوح مئات الآلاف من الناس إلى تنزانيا المجاورة.

ولسائل أن يسأل: أين الأمم المتحدة التي تزعم أنها المسؤولة عن حفظ أرواح المستضعفين وإقامة السلام بين بني البشر؟ والجواب هو أن الأمم المتحدة موجودة في عاصمة راوندا منذ فشل حملة التوتسي السابقة ، ولها قوات من بلجيكا وبنجلاديش وغيرهما ، وقد قامت بمهمتها خير قيام! فقد قامت القوات البلجيكية بمساعدة قوات فرنسية باجلاء الأجانب (الغربيين) ، ثم انسحبت أيضاً تاركة القوات البنغالية تقوم بمحاولة حماية المدنيين بدون جدوى ، ومع استمرار المجازر استمر التغاضي عما يجري ، فالقاتل والمقتول أفارقة وإن كان غالبيتهم من النصارى أتباع الكنيسة السوداء إلا أنهم من الجنس غير الأبيض!

أخيراً:

لعل القارئ الكريم يلاحظ أن ممارسة المجازر الرهيبة التي تعتمد على الإبادة الجماعية التي لا تفرق بين ذكر وأنثى ، ولا بين صغير وكبير ، ولا بين مسلح وأعزل ، يكاد يكون القيام بها وفقاً على معتنقي النصرانية ، وذلك لعدم وجود الحجة التي يواجهون بها الخصم ، ولهذا تلجأ إلى خيار الإبادة ، وهذا ما حصل في الأندلس وفي أمريكا الجنوبية وفي البوسنة ، محاولات فاشلة جرت وتجري ، ولهذا يستطيع الفرد العادي أن يستنتج أن الإنسان في عرف الساسة الغربيين هو اليهودي أولاً ثم النصراني الغربي ثانياً ، ثم النصراني ثالثاً ثم من يحقق مصالحهم رابعاً ، وما عداهم فهم مجرد أوراق نقدية ليس لها رصيد.

المسلمون والعالم

شاهد عيان:

هكذا تهدم مساجد أهل السنة في إيران

د. عبد الله المكراني

قامت السلطات الإيرانية مؤخراً بهدم مسجد «فيض» الخاص بأهل السنة في مدينة «مشهد»، والهجوم المسلح وإراقة دماء المصلين في مسجد «المكي» أكبر مسجد جامع لأهل السنة في «زاهدان» عاصمة «بلوشتان» الإيرانية ، واحتلال المسجد والمدرسة الدينية التابعة له من قبل

«الحرس الثوري» الإيراني والمخابرات الإيرانية وإن كان قد تأخر نشر المقال لظروف فنية فإنه يسرنا إيضاح هذه المؤامرة كما وضحتها الأخ الكاتب جزاه الله خيراً البيان ((ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)) [البقرة: ١١٤].

مسجد الشيخ فيض في مشهد هو مسجد جامع مر عليه قرابة مائة عام وكان مثار جدل عنيف في الأعوام الأخيرة بين الحكومة الإيرانية المتمثلة في المخابرات من جهة وبين أهل السنة والجماعة المستضعفين تحت الضغط الرافضي المتزايد من جهة ثانية ، وربما عاد سبب ذلك إلى ما يلي:

فراغ إيران من الحرب الخارجية من جهة ، وعدم تحملها لأهل السنة في مدينة كمدينة «مشهد» من جهة ثانية ، وكذلك ، قد يعود الأمر إلى حشود المصلين الذين كانوا يملؤون المسجد عند أداء الفرائض في كل مكان ، بالمقارنة بعدد المصلين الشيعة الذين لا يعدون صلاة الجمعة فرضاً عينياً بسبب غيبة الإمام المنتظر بزعمهم الذي هو في تناقص مستمر، هذا من جانب ، ومن جانب آخر وجود هذا المسجد لأهل السنة في قلب مدينة مشهد ، وقرب مزار الإمام «الرضا» قبلة آمال القوم ، ووجوده قرب بيت والد خامنئي مرشد الثورة الحالي ، وإحاطة المسجد بجيران في غاية التعصب ، حيث أصبح المسجد مركز تجمع لأهل السنة حيث يلتقون لأداء الصلاة فيه ، لذا غيرت الحكومة قبل سنة واحدة خط سير الطائرات الذاهبة إلى الحج ، التي كانت تحمل حجاج السنة من بلوشتان وخراسان ، من مشهد إلى كرمان ، كي لا يجتمع أهل السنة في مسجدهم في مشهد ، كل هذا جعل الدولة تفكر في هدم المسجد ، وهناك قرار غير معلن ينص على أن أي مدينة تكون نسبة السنة فيها أقل من ٤٠ % يجب أن لا يسمح لهم ببناء مسجد فيها ، والتلاعب في تحديد هذه النسبة مسألة سهلة بالنسبة لهم ، والكلام السابق هو كلام محافظ مشهد وهو ابن آية الله جنّتي المشهور بتعصبه ضد أهل السنة هناك.

وقبل هدم المسجد اقترحت المخابرات الإيرانية مبلغاً من المال يأخذه أهل السنة بدلاً من المسجد كأنه محل تجاري ، فلا قداسة ولا احترام!! ولكن العلماء أفتوا بأن تبديل المسجد أو بيعه غير جائز، ولقد صادرت المخابرات تلك الفتوى، فلم تصل إلى المسؤولين الرسميين، واقترحوا أيضاً أن يعطوا لهم أرضاً في أطراف مشهد ، أي بعيداً عن مركز المدينة ، ولم يلق أيضاً ذلك العرض قبولاً من هيئة أمناء المسجد ، ومن علماء بلوشتان وخراسان وغيرهم من أهل السنة، ولقد استصدرت المخابرات بعض الفتاوى من بعض المشايخ المغمورين والمرتزين ، حيث أفتى أولئك بإعدام أفضل العلماء والشباب بتهمة «الوهابية» ، وهذه حجتهم كلما أرادوا قتل عالم من أهل السنة ، وفي ليلة الاثنين ١٩ شعبان ١٤١٤ هـ الموافق لذكرى وصول الخميني إلى إيران ، حيث تحتفل الدولة بتلك المناسبة أشد الاحتفالات ، وتسمى في إيران «عشرة فجر الثورة» ، في ليلة كهذه يضيع كل شيء ، حاصرت المخابرات الإيرانية مسجد فيض لأهل السنة في مشهد حصاراً عنيفاً ، ثم استقدمت ١٥ جرّافة كبيرة وبعد منع الناس من التردد حول المسجد بدأت الجرافات في العمل من خارج المسجد طوال الليل في هدم الجدران والأبواب باتجاه الداخل دون أن يفرغ المسجد من المصاحف والسجادات والمكتبة الموجودة فيه واقتيد إلى السجن كل من كان في المسجد غير من استشهد تحت الجرافات ، وكل من كان يأتي ويسأل عن سبب الهدم حيث علم خبر ذلك في الليلة نفسها هاتفياً من خادم المسجد الذي كان في الداخل قبل الهدم.

انتشر هذا الخبر المؤلم كالصاعقة في المناطق السنية التي تقع في الحدود الإيرانية ، حيث الزحف الشيعي مستمر منذ العهد الصفوي إلى يومنا هذا ويتعرض أهل السنة لأنواع الضغوط لإبعادهم عن المراكز الداخلية أو للتهجير إلى خارج البلاد.

في يوم الثلاثاء الأول من فبراير ١٩٩٤ م بدأت احتفالات الحكومة ، إلا أن هذا الحادث المؤلم أدمى قلوب أهل السنة (وكثير من المعارضين الذين يكرهون النظام أشد من غيرهم) ، ممن كانوا يتعرضون أيضاً لضغط وقتل وتعذيب ، والغريب أن (دعوة الأخوة) بين السنة والشيعة لم تنزل على أشدها من قبل الحكومة تزويراً وخداعاً ، وكل عالم سني إذا تكلم بشيء من الحق يلقى وبالاً عظيماً لأنه يفرق بين الأخوة!! وهكذا سجن وأعدم علماء وشخصيات بارزة إما بتهمة الوهابية أو التفرقة بين السنة والشيعة أو التجسس وهذه التهم الجاهزة لكل من لم يسمع لهم ويطيع ، كالأستاذ بهمن شكوري والعلامة أحمد مفتي زاده والعلامة آية الله البرقي الذي كان من كبار مراجع الشيعة وتحول للسنة قبل الثورة وكتب رداً على عقيدة الشيعة وله كثير من المؤلفات والكتب والمقالات ، والدكتور علي مظفر يان الطبيب الحاذق الذي تحول للسنة قبل الثورة أيضاً وأعدم ، وعشرات من هؤلاء الذين نحسبهم شهداء فضلاً عن المسجونين والمنفيين ، و الآن لنرجع إلى ما نحن بصدد.

انتشر خبر هدم مسجد فيض بالهواتف والأفواه ، إلا أن الصحف ولضغوط الحكم الجائر في إيران لم يقدروا على عمل أي شيء مهم يحول دون تخريب المسجد ، أو إعادة بنائه كما حدث في مسجد (حضرت بال) أو مسجد بابري في الهند ، وقال أحد السني في زاهدان: إن الحكومة الإيرانية بيضت وجه حكومتها! ، ومع هذا الجو الخانق الذي يخرس أدنى صوت أو اعتراض تفجر حزن أهل السنة وكانوا يبكون في كل مكان، وبدأوا بإغلاق محلاتهم التجارية في بعض المدن السنية ، وبخاصة في زاهدان عاصمة بلوشستان الإيرانية وبدأ الناس بالتجمع حول المسجد المكي والمدرسة الدينية التابعة له والمجاورة للمسجد ، اللذين بناهما الشيخ عبدالعزيز ملا زاده رحمه الله الزعيم الديني والسياسي لأهل السنة في بلوشستان ، وكان الناس يلقى بعضهم بعضاً بوجوه حزينة وبغيظ مكظوم.

وفي صباح الثلاثاء الأول من فبراير ١٩٩٤ م حدث اجتماع شعبي ديني خلافاً لما أعلنته صحف الدولة التي افترت عليهم بأنهم من المنافقين ، أي من «منظمة مجاهدي خلق اليسارية» ، ثم غيرت لهجتها فوراً وافترت عليهم بأنهم من الأشرار والمهريين ، تجمعوا حول مسجد المكي وفي داخل المدرسة الدينية وبدأ عدد من المشايخ يهدىء الناس الذين كانوا يتفجرون غضباً ، وبادىء ذي بدء لم يفتحوا باب المسجد للناس ليتفرقوا ، وقال خطيب المسجد إنني أخاف أن تحدث حادثة تنسينا قضية مسجد فيض ، لكن أعداد الناس بدأت تتزايد باستمرار إلى أن فتحو أبواب المسجد كي لا يشتبك الناس مع القوى الحكومية التي حاصرتهم من كل جهة ، ولا يكونوا هدفاً لطلقات حاقدة من حرس الثورة والمخابرات ، وذهب خطيب الجامع إلى حشد الناس ووعدهم بأن يتصل بالمسؤولين ليأتوا إلى الناس ويحدثونهم ويقتنعونهم ، ومنذ الصباح الباكر وإلى وقت وقوع الهجوم كان العلماء ووجوه الناس الذين اجتمعوا في مكتب المدرسة الدينية يسعون جاهدين للاتصال بالمسؤولين من المحافظ ومكتب مندوب الخامنئي (الذي يدبر المؤامرات الشيطانية ضد مدارس أهل السنة ومساجدهم) وغيرهما ، ولكنهم لم يجدوا أحداً ، كانوا يسمعون جواباً واحداً وهو: أن دوائر الدولة مشغولة بإقامة احتفالات الثورة ، لكن ظهر بعد ذلك من القرائن أن هذا كله كان جزءاً من المؤامرة المدبرة سابقاً.

ومن جانب آخر وخوفاً من تأزم الوضع سعى علماء السنة إلى تهدئة الناس ودعوتهم من خلال مكبرات الصوت إلى الهدوء ، وفي وسط هذا الضجيج وحيال غضب الناس من هدم مسجدهم كأنه لم تكن هناك أذان كثيرة تسمع ، وبخاصة أن شباب المدارس الذين يسمعون الإهانات لمعتقداتهم يومياً من معلمهم قد تفجر غضبهم وحنقهم وكانوا يبكون ، وبدأ الناس برمي سيارات الشرطة بالحجارة

وكسر الزجاج ، وأخذوا ينزلون أعلام الدولة المرتفعة فوق الدكاكين بشأن احتفالاتهم ، ثم ذهب بعض العلماء والمصاحف بأيديهم إلى حشود الناس الذين تحمسوا كثيراً وكانوا يمنعونهم من المظاهرة وكسر الزجاج.. كل هذا لأنهم كانوا يعرفون حقد الدولة وخطتها.

وقال أحد شهود العيان أنه رأى شخصاً كلما كان الناس يمنعونهم من كسر الزجاج لم يكن يمتنع عن ذلك حتى منعه بالقوة ، وإذا بجهاز اللاسلكي يقع من تحت إبطه وكان يلبس اللباس البلوشي المحلي ، ولما عرف الناس أنه من المخابرات الإيرانية ويكسر الزجاج ، ضربوه وإذا بهذا العنصر للمخابرات يطلق النيران على الناس ويهرب ، ويجب أن نعلم أن كثيراً من عناصر المخابرات الإيرانية كانوا يتخفون في اللباس البلوشي ، وكانوا في ذلك اليوم يستغلون عواطف الناس ، ويحاولون استفزازهم لإيقاد الفتنة فتكون لديهم الذريعة لتوجيه سلاحهم إلى صدور أهل السنة باسم الأشرار والمنافقين كما افترت عليهم صحفهم الحكومية التي كذبت في نفس الوقت خبر هدم مسجد فيض في مشهد ، في حين أن المسؤولين كانوا يعترفون بذلك ، ولما سئلوا عما في الصحف قالوا إنها «حرّة!!» ((وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون)).

وقبل حادثة إطلاق النار على المصلين في مسجد «المكي» بعدة ساعات تم إخلاء المستشفى الحكومي من المرضى تمهيداً لإدخال الجرحى والقتلى الذين كانوا ينون قتلهم ، هذا وغيره يدل على أنهم كانوا قد درسوا الوضع بدقة قبل ذلك بشهور ، حتى رتبوا الحادث في أيام الاحتفالات إلى أن عرفوا طبائع المدن التي سوف تعترض على هدم المسجد، ليضربوها بالحديد والنار ((ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) ، كما أنهم عزلوا زاهدان عن باقي المدن وقطعوا الاتصالات الهاتفية قبل الحادثة بعدة ساعات.

وفي ذلك الوقت كان خطيب الجامع الذي يعد زعيماً لأهل السنة والعلماء ووجوه الناس كانوا مجتمعين في مكتب المدرسة ليحدثوا أي مسؤول حكومي يأتي إلى الناس فيجيبهم بشيء ، إلى أن وصل قائد الشرطة الضابط (غضنفری) إلى مكتب المدرسة وأخبر أنه وجد عبر اللاسلكي بعض المسؤولين وقال الشيخ له ليأتوا من غير طريق الشارع الرئيس الذي اجتمع الناس فيه خوفاً عليهم كي لا يرميهم الناس بالحجارة ، لكنهم عمداً أو جهلاً والله أعلم جاؤوا عبر الشارع الرئيس ، ففعلاً حدث ما توقعه الشيخ ، ورماهم الناس بالحجارة ، ولكن لا أحد يدري بالضبط هل كانت هذه جماهير الناس حقاً أم أنهم فئة معدة لتقوم بهذا الدور في هذا اليوم؟ وكما أشرت سابقاً أن المخابرات كانت تعد لهذه الواقعة كي تضرب أهل السنة من جهة وكي توجه أنظار الناس في إيران إلى هذه المشكلة لينسوا مشكلاتهم وليوحدوا صفوفهم لتفرقهم كثيراً بعد الحرب مع العراق ، ولقد تبين أن الذين جاؤوا ليلتقوا بالناس هم الذين أصدروا الأمر بإطلاق النار أولاً وقبل هذه الحادثة بقليل ذهب أحد العلماء إلى قائد الشرطة ورجاه أن يفرق عناصر الشرطة في المنطقة كي لا يتفجر غضب الناس برؤيتهم ، فأجاب: هؤلاء لا يسمعون! وصاحبه كان يبتسم ، وكأنهم كانوا عالمين بما سوف يجري ، وفي هذا الوقت في الساعة ٥.١٢ ظهراً بالتوقيت المحلي أذن المؤذن كي يخرج الناس من الشارع ويدخلوا المسجد لأداء الصلاة ، وبعد ذلك بقليل سمع الأمر بإطلاق النار من اللاسلكي الذي كان بيد أحد الضباط ، ودخل الناس والعلماء إلى المسجد وأعلنوا عبر مكبرات الصوت أن الشغب وكسر زجاج محلات الناس لا يصح ولا يجوز شرعاً وبدأوا في أداء صلاة الظهر ، وكانوا في الصلاة جماعة حيث بدأت طلقات الرصاص تدوي في الهواء ، ثم يسقط المصلون والأبرياء في داخل المسجد والمدرسة بعد ذلك ، وذهب أحد المشايخ بعد الصلاة وتكلم عبر مكبرات الصوت موجهاً نداء إلى الشرطة أنه يجب عليه ألا يكرر الخطأ ، وأن لا يطلق الرصاص ، فأجابت الشرطة فوراً عبر مكبرات الصوت: لسنا نحن الذين نطلق الرصاص وإنما هم المخابرات والحرس ، ثم كنا نرى أسف

بعض الضباط بعد ذلك لما حدث ، لأن الشرطة هي القوى النظامية وليست قوى (حزب الله) كما يقولون أو حرس الثورة ، ثم أغرقوا المسجد والمدرسة بدماء الأبرياء خلال ثلاث ساعات متواصلة ، وكانت تشاهد الطائرة المروحية من فوق والجنود من الأرض وسيارات الحرس من أعالي الجبل ومن فوق البنايات، لم يبق من المسجد مكان إلا وأصابه الرصاص، ثم بعد ذلك جمعوا القتلى والجرحى والأسرى ، والله أعلم بعددهم ، ولم يعطوا إلا ثلاث جثث ليلاً ومنعوا من تشييع الجناز ، وبعد ذلك جاؤوا في منتصف الليل ، وأزالوا آثار الرصاص من الجدران والأبواب وغيروا زجاج الشبابيك ، ظل المسجد محاصراً حوالي أسبوع ثم رفعوا الحصار وأرغموا خطيب الجامع للحضور لمظاهراتهم وإلا سوف يعملون معه كذا وكذا ، وهذه هي القصة المؤلمة لشاهد رأى الحادثة بعينه.

العجيب الذي لا يمكن تعليله بحال أن يشكك آيات إيران في مساجد السنة ويدعون بأنها الخطر الأكبر على عقديتهم ، ولا ينبذون بنت شفه حيال كنائس النصارى وبيع اليهود ومعابد المجوس ، فأى إسلام يدعي هؤلاء وهم يهدمون مساجد الله جهاراً نهاراً؟!

نداء من أهل السنة في إيران لإخوانهم المسلمين:

في بيان مهم وزع يوضح الحاجة الماسة لأهل السنة في إيران ، وأن حاجتهم الماسة تتطلب ما يلي:

- ١- إيجاد إعلام فاعل لأهل السنة على الأقل مسموع باللغة الفارسية.
- ٢- تخصيص قسم للترجمة إلى الفارسية للكتب العقيدية والفكرية المهمة.
- ٣- نشر أشرطة علماء السنة مثل (أحمد مفتي زاده) و(عبد العزيز ملازاده) و(آية الله البرقي) وغيرهم.

٤- تدريس أبناء السنة في الجامعات الإسلامية المشهورة.

٥- أهمية إيصال المجالات الإسلامية النافعة لهم.

أدركوا مسلمي إيران السنة قبل أن يذوبوا في مخططات الرافضة.

والله المستعان.

قراءة في كتاب

إنفاق العفو بين النظرية والتطبيق

تأليف: د. يوسف إبراهيم يوسف*

عرض: نورة السعد

لا يقتصر مفهوم «إنفاق العفو» في الفكر الإسلامي على فضل المال فحسب ، فأية البقرة ((ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو)) (١) لم تقيد العفو بالفائض من المال ، وإن كان المفسرون قد وقفوا بالعفو عند ذلك ، بل إن السنة المطهرة قد وردت صراحة «بإنفاق العفو» من الجهد والإمكانات البشرية وهو ما يؤكد الدكتور / يوسف إبراهيم يوسف في بحثه هذا عن «إنفاق العفو في الإسلام» ، وسوف نعرض في السطور الآتية بعضاً مما ورد فيه بإيجاز:

والعفو هو الفائض عن حاجة صاحبه من مال أو جهد أو وقت أو صحة وهو موجود بكمية وفيرة لدى الأمة الإسلامية التي تجاوزت المليار نسمة سواء أكانت تمثل العفو في الجهد البشري أم الموارد النقدية والعينية ، بل إن دور «العفو» من الجهد البشري في بناء المجتمع ، وتمويل تنميته ،

أكبر من دور «العفو» في المال لاسيما في معظم المجتمعات الإسلامية ، التي تملك قدراً كبيراً من الاثنين غير أن ثرواتها المادية والمالية غير مستغلة. ويشير الكتاب إلى أن «العفو» بهذا المعنى يكمن في صور متعددة فليس موجوداً عند الأغنياء فقط ، فالغني يملك فضل المال ، بيد أن الفقراء لديهم مكان آخر للعفو تتمثل في الجهد والصحة والمواهب المختلفة في اللسان والجنان ، ولقد فهم الصحابة المعنى الأول من إنفاق «العفو» فاشتكوا إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- قائلين: «يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور!! لكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- صحح لهم هذا الفهم فقال: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟ إن بكل تسبيحة صدقة.. وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة» (٢) ، حتى إذا عجزت عن أي عمل «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك» (٣).

إننا إذاً جميعاً داخلون في هذا التكليف قادرون عليه بصور متفاوتة وهذا يعني أن الطاقات الفائضة، والإمكانات الموهوبة للإنسان لا يباح للمسلم تعطيلها أو منعها عن خدمة المسلمين، ولا يعفى من المسؤولية من قام بتبديدها في مباح ، أو وضعها في محرم.

إننا والحال هذه مكلفون بالبحث عن ميادين وقنوات لتنفق في سبيل الله جهودنا وأعمارنا وعافيتنا ومواهنا ، يقول الرسول ص: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» (٤) ، ومن هنا فإن كل ما يزيد عن كفاية الشخص مما لديه من إمكانيات يصبح محلاً للإنفاق على مصالح المجتمع (ص ٦٨-٧٣) ويروي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : بينما نحن في سفر مع النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ جاءه رجل على راحلة له ، قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالاً فقال رسول الله ص: «من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» ، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل» (٥).

وهكذا فإن كل فضل من مال أو جهد أو فتوة أو قدرة يجب أن يستغل إسلامياً ليصب في الصالح العام ، فيرتقي المجتمع ، ويبين أثر ذلك على الأفراد. إن المسلم المخلص يترجم عقيدته في سلوك عملي رجاء ثواب الله سبحانه وتعالى وتصديقاً بموعوده ، يوم لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره ، وشبابه ، وماله وعلمه.

وإذا أردنا أن نقف على نوع التكليف في مسألة إنفاق العفو: هل هو فرض عين أم فرض كفاية؟ فإن المؤلف ممن رجع المذهب الثاني الذي يوجب على كل فرد أن يترصد بالعفو من ماله وجهده فرص التوظيف والتشغيل فإذا وجدت حاجة في الناس بادر إلى سدها ، فإذا سبقه إلى ذلك غيره جاز له أن يبقي العفو الذي لديه ، ولا يكون بذلك أثماً ، بيد أنه يظل يتحرى الفرص لتشغيل ما لديه. (ص ٥٨، ٥٩)

ويوجب الإسلام البدء بالإنفاق الاستهلاكي على النفس ، ومن تلزم نفقته فإذا وجد «عفواً» بعد ذلك أخرجت الزكاة بشروطها ، وما بقي فوقها فإن المسلم يفاضل في إرفاقه بين الإنفاق الاجتماعي والإنفاق الاستثماري بحسب الظروف الاجتماعية وأحوال المسلمين من حوله ، والمقصود بالإنفاق الاجتماعي هو: إسهام المسلم في الإنفاق على مصالح المجتمع ، ويعني الإنفاق الاستثماري: الإنفاق على تكوين رأس المال ، وزيادة قدرة المرء على توليد الدخل الشخصي ، وهذا ما أرشد إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- من حديث صاحب الحديقة إذ قال: «فأنا أنظر إلى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه» (٦). (ص ٥٦، ٥٧)

وإن في المال حقاً سوى الزكاة كما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنه وإن الحديث الذي يقول: «ليس في المال حق سوى الزكاة» صحته: «في المال حق سوى الزكاة» ، أما كلمة «ليس» فزيدت في الحديث عن طريق النسخا وشاع الخطأ بعد ذلك ، قال بهذا فضيلة الشيخ القرطبي

متابعاً للعلامة الشيخ أحمد شاكِر، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من واجبات المال غير الزكاة: «تجب النفقات للأقارب والزوجة والرقيق والبهائم، ويجب حمل العاقلة وقضاء الديون، ويجب الإعطاء في النائبة، ويجب إطعام الجائع وكسوة العاري فرضاً على الكفاية... إلى غير ذلك من الواجبات المالية». وقال الإمام مالك رحمه الله: «يجب على كافة المسلمين فداء أسراهم ولو استغرق ذلك أموالهم». والخلاصة: أن في المال حقوقاً واجبة غير أداء الزكاة فإن إخراج الزكاة لا ينفي عن المال صفة الكنز، إذا منعت بقية الحقوق الواجبة فيه فيما يعود بالنفع على المسلمين من بناء الاستثمارات، وإقراض المحتاج وإطعام الجائع، وغير ذلك من ضروب التكافل بين المسلمين، والتي تعبر عن طبيعة النظام الإسلامي، وتبني مجتمع المتقين المتكافل. (ص ٩٤، ٩٥، ٩٧)

وتقع مهمة توجيه العفو، إلى الإسهام في تحقيق التنمية الاقتصادية، على عاتق الكثير من المؤسسات القائمة في المجتمع ابتداءً من مؤسسة الدولة نفسها بوصفها أهم مؤسسة في المجتمع، وانتهاءً بالجمعية الخيرية التي يكونها الأفراد لأداء واجب من الواجبات الكفائية، مروراً بالكثير من المؤسسات التي يضمها المجتمع، والدولة بوصفها أهم المؤسسات المؤثرة على «العفو» من ناحية فعاليته في تحقيق مصالح المجتمع، تستطيع القيام بعدة أمور:

١- أول ما يجب على الدولة في هذا الخصوص هو أن تتخذ من الوسائل والسياسات ما يجعل الفوائض المهاجرة تطمئن إلى وطنها في بلادها وتعود من مهجرها، وهذا يتطلب تأميناً على نفسها، وفتحاً لفرص الاستثمار والتنافس الحر أمامها، وسعيًا إلى إيقاظ الوعي الديني في نفوس أصحاب هذه الفوائض.

٢- أن تضع الدولة إطاراً لتنظيم عملية استخدام العفو، يكفل انسياب الفوائض إلى قنوات الاستثمار المختلفة، ومجالات الخدمة الاجتماعية المتعددة دون عقبات أو عراقيل، وبما يحفظ هذه الفوائض من أن تبدد في مشروعات مظهرية غير مجدية، أو في استثمارات لم يصل المجتمع إلى طلبها في هذه المرحلة. (ص ١٠٤، ١٠٥)

وبعد ذلك تظهر قضية كفاءة المصارف الإسلامية، وإذا استطاعت هذه المصارف أن تقوم بدورها المنوط بها، وأن تعمل دائماً على رفع كفاءتها وتطوير أساليبها فإن نجاحها مرتتهن بمساندة المجتمع والدولة، فالمطلوب إذاً نشر المصارف الإسلامية في أرجاء البلاد، وإزالة المعوقات من أمامها، وإحاطتها بالتشريعات الكفيلة باستقرارها ونموها.

ويتحقق إنفاق العفو بأكثر من صورة، وقصره على صورة دون أخرى تقييد للمطلق بغير دليل، فكلما طابت نفس المسلم، وتفاعلت مع الهدي الذي أتاه من ربه، تمكنت من اقتحام العقبة، واختارت صورة من صور إنفاق العفو في سبيل الله، تكون أبلغ في الدلالة على الاستجابة لأمر الله، وأول هذه الصور وأعلىها تتمثل في تقديم العفو والتخلي عن ملكيته لصالح المستفيد منه. (وهناك صورة الوقف: وهي خروج عن ملكية العفو وجعله ملكاً لله تعالى فلا يملكه من وقف عليه لكنه يستفيد منه فقط).

ومن الصور أيضاً، استخدام العفو في خدمة مصالح المسلمين مع الاحتفاظ بملكيتهم، مثل بناء المشروعات الاستثمارية التي تحقق منفعة للمالك ومصلحة للمجتمع في الوقت نفسه، وتندرج بعد ذلك صور إنفاق «العفو» فهناك صور كثيرة استخدمها المسلمون ثم تغافلوا عنها، وهي من هدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- تنضوي تحت ما يسمى بـ «المنيحة». قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة تغدو بعس وتروح بعس، إن أجرها لعظيم»، فالمنيحة هي الدابة يدفعها المستغني عنها إلى من يستفيد من قوتها ودرها، ثم يستعيدها بعد مدة مقدرة ومثل ذلك أن يبني المسلم دوراً يملكها، لكنه يخصصها لسكنى الفقراء وأبناء السبيل وينتفع بها إذا احتاج

إليها ، وجدير بالذكر أن عدم إنفاق فائض المال في صورة من هذه الصور أو مثيلاتها يعني تعطيل المال والجهد وإضاعتهما ، وذلك أمر منهي عنه شرعاً. (ص ٥٤، ٥٥)
 ويشير حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا قدست أمة ، لا يأخذ فيها الضعيف حقه غير متعتع» (٧) ، إلى هذه العلاقة الوثيقة بين حفظ كرامة الإنسان ، واستحقاق الأمة نصر الله وعونه ، فإن حق الضعيف في هذا الحديث ليس حقاً معيناً ، وإنما هو حق شامل عام: إنه حق في الحياة الكريمة ، وفي العدالة والمساواة والحصول على عمل دون أن يتقدمه من هو دونه ، وحقه في التنقل والملكية وممارسة حقوقه السياسية ، وحقه في إبداء الرأي ، وتوجيه أمور الجماعة... إلى غير ذلك من الحقوق التي جاءت بها الشريعة وكفلها الإسلام. (ص ١٢، ١٣)

الهوامش :

*المصدر: د. يوسف إبراهيم يوسف إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق ط ١ ١٤١٤ هـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية دولة قطر بتصرف يسير.

(١)البقرة ، آية ٢١٩

(٢)رواه مسلم.

(٣)متفق عليه.

(٤)متفق عليه.

(٥)رواه مسلم.

(٦)رواه مسلم.

(٧)رواه «ابن ماجه» بسند صحيح.اج

في دائرة الضوء رؤية في مسألة «التعددية» عرض ونقد

د. محمد يحيى

حفلت الكتابات الفكرية في الآونة الأخيرة بطروحات كثيرة حول قضية «التعددية» وتقريعاتها في النواحي الفكرية والاجتماعية والسياسية ، بل وحتى الدينية ، وبدا لمن يتابعون هذه الكتابات أن أنصار مبدأ «التعددية» يرون فيه الحل الناجع للكثير من مشكلات الأمة وفق توصيفهم لها ، وأنهم يطرحونه مذهباً فلسفياً قائماً ، يدعون له ، وينافحون عنه في وجه خصوم معينين ، وارتبطت فكرة «التعددية» بمنظومة أخرى من الأفكار التي تروج هي الأخرى في الكتابات الفكرية المعاصرة، كفكرة «الاعتراف بالآخر»، و «الديموقراطية» وما أشبه ذلك ، كما اكتسبت مثل تلك الأفكار قداسة خاصة ، وارتقت إلى مرتبة الشعار العاطفي المطلق ، الذي يرفع لاستجلاب المشاعر وإثارة الخواطر، ويطلق علامة على حركة اجتماعية وفكرية عامة.

هدف هذه الفكرة:

وشهرت دعوة «التعددية» بخاصة في وجه الحركات والأفكار الإسلامية التي وصفت بأنها عدو التعددية ، كما هي عدو الفكر والتقدم والتنوير والعقل والحرية...الخ ، وعلى الرغم من اجتهاد بعض المفكرين الإسلاميين في إيجاد وضع ثابت للتعددية داخل الشريعة الإسلامية كالقول الشائع مثلاً

بأن المذاهب الفقهية هي أحزاب سياسية واجتماعية متعددة إلا أن وصمة رفض التعددية بقيت تلاحق الإسلاميين في الكتابات الجارية وتدمغهم في عرف الكاتبيين بكل النواقص الناجمة عن ذلك.

ملحوظات أربع مهمة:

ولا يكاد المتابع للكتابات الدائرة حول التعددية أن يهرب من ملحوظات عديدة حول هذه الفكرة كما جاءت في الطروحات الدارجة ، وهي ملحوظات ينبغي وضعها في الحسبان عند أي تعامل أو تحليل للفكرة.

أولاً: أبرز هذه الملحوظات ما يتعلق بالمصدر الذي تؤخذ منه عادة هذه الكتابات والدعوات في الفترة الراهنة ، وأعني به قطاعات من الفئة المثقفة ذات التوجه العلماني ، وبالذات العناصر المسماة بالليبرالية واليسارية منها ، ولا يخفى أن الفئات الأخيرة على تنوعها من ماركسية وشيوعية واشتراكية وقومية كانت حتى وقت قريب أشد الرافضين لمبدأ التعددية ولاسيما في مجال الحزبية السياسية ذلك لأن أصحاب هذه المذاهب كانوا إلى سنوات أخيرة يزايدون على أصحابهم في الغرب في التشديد على «أحادية» مذاهبهم ورؤاهم الفكرية وقدرتها وحدها على تفسير وتحليل كل الظواهر ، وتدبير كل أمور المجتمع دون شريك ، وليس ببعيد عنا زعم الماركسيين أن فلسفتهم هي الحق الوحيد القادر على شرح وتوضيح كل أمور الكون ، وعلى تفسير شتى الظواهر الاجتماعية سواء أكان التفسير في مجال الحركة الاجتماعية والسياسية أو في مجال الفكر والرأي والنظر الفلسفي ، فما بال المزاعم قد تغيرت إلى النقيض في زمن قصير لا يسمح بتحول فكري، بل وبدون دلائل على حدوث مثل هذا التحول إلى الانفتاح الفكري؟!!

ثانياً: تؤدي هذه الملحوظة إلى أخرى تفوقها في الأهمية والمغزى فالواقع المشهود والتجربة التاريخية خلال نصف قرن مضى ، تدل على أن من يستमितون الآن في طرح مبدأ «التعددية» كانوا أول وأشد من يناقضه في القول وفي الفعل فهم الذين قمعوا وكبتوا بل سحقوا الحركات الإسلامية ، وأمروا أو حرضوا على قتل المفكرين والعلماء المسلمين العزل من أي شيء سوى أفكارهم، وهم الذين تحالفوا مع كل أصحاب الدعوات والممارسات الاستبدادية في الحكم ، وناصروا كل من حل الأحزاب ، وسيطر احتكاراً على مذاهب ومنابر الإعلام والثقافة وسد منافذ الحركة الاجتماعية الأصيلة وفي الوقت الراهن يتحالف هؤلاء مع أنظمة حكم عسكرية دكتاتورية تحظر التعددية السياسية ، وتمنع التعددية الفكرية والأخطر من ذلك أن ممارسة هؤلاء لمفهوم «التعددية» في الحاضر تتمحور حول رفض وجود التيار الإسلامي الفكري والحركي في الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية بحجة واهية مصطنعة هي أن هذا التيار يرفض التعددية وبذلك جاز أو وجب إبعاده عنها(١) رغم أن من بين صفوف «التعديين» الجدد من أفنى عمره يرفض التعددية الحزبية والفكرية ، ثم ها هو أصبح من دعايتها ، وتلك تعددية غريبة تلك التي تجعل من أهم مبادئها إقصاء أقوى الأطراف على الساحة ، وقصر المنتفعين بها على أصحاب مذاهب هي في حقيقتها مذهب واحد: هو العلمانية المتطرفة.

ثالثاً: إن «التعددية» المكتشفة أخيراً حلاً سحرياً للمشكلات والأزمات ، لا تطرح باعتبارها فكرة أو مسلك اجتماعي أو أسلوب حركي أو دعوة أخلاقية ، بقدر ما تطرح سلاحاً مشهوراً في وجه خصوم التيار العلماني من المسلمين ، فنحن لسنا أمام طرح فكري يطلب لنفسه كسائر الطروحات الفكرية المناقشة الهادئة الجادة والعقلانية ، بقدر ما نواجه بشعار يُردّد لإرهاب الخصوم ودمغهم بالتسلطية ، ورفض الحوار وتشويه صورتهم في أذهان الناس على أنهم هم وليس العلمانيون الذين يبشرون بالبطش والطغيان برفضهم للتعددية ، وبالمثل فإن هذا السلاح والشعار يستخدم لتبويض صورة العلمانيين وتحسينها بنفي أبرز ملامحها وهو الاستبداد بالرأي والتعصب المقيت

ضد المخالفين ، والرغبة العارمة في الاستئثار والاحتكار لكل مناحي الحياة وأدوات الفعل والحركة في المجتمع. نحن إذن في طرح «التعددية» في الكتابات العلمانية الجارية نواجه بأسلوب خبرناه في طروحات منظومة الأفكار الأخرى المماثلة ألا وهو استخدام الفكرة سلاحاً كالسيف والمدفع للهجوم على الخصوم وتشويه صورتهم مع تحسين صورة الأنصار.

رابعاً: ترتبط الملحوظة الأخيرة بما سبق ، فلأن مفهوم «التعددية» يستخدم الآن مجرد سلاح للضرب ، ولأنه يناقض أفكار وممارسات من يتزعمون لواء الدعوة إليه ، فهو يبدو غامض الملمح ومضطرب الأبعاد فالحديث قد يجري عن التعددية السياسية فنسمع دعوة إلى السماح بتعدد الأحزاب ، لكن هذه الدعوة مقيدة بأن تعمل هذه الأحزاب داخل نطاق محدد ومحدود لا تتجاوزه ، هو في العادة «ميثاق وطني» أو قانون صارم يضيف عليها في الواقع وحدة أو «أحادية» في الفكر والسلوك ، فوق أن هذه «الأحزاب المتعددة» تستثنى منها فئات عديدة أولها ما يسمى بالأحزاب الدينية أو الإسلامية مما يجعل من التعددية المرغوبة مجرد لفظ أجوف ، والحديث قد يدور حول التعددية الفكرية والثقافية لكنه ينحصر في الواقع في نبذ ونفي الإسلام والتمكين لأحادية فعلية من المذهب العلماني المتغرب ، حتى وإن تسترت ببعض التفرعات الشكلية داخل هذا المذهب ، والأكثر أهمية في هذا أن المناقشات حول التعددية تتركنا في حيرة حول ما إذا كان الكلام يدور حول واقع موجود بالفعل يراد الاعتراف به ، وتقنين وجوده ، أم حول مثال وأنموذج يراد إيجاده من عدم ، باعتباره هدفاً أسمى ينبغي الوصول إليه ، ذلك لأن الحديث عن التعددية يجري أحياناً بشكل يوحي بأن أنصاره إنما يريدون تمهيد السبيل لتطورات ومذاهب وأفكار يراد جلبها إلى الساحة بعد التمهيد لها بفكرة التعددية ، ولعلنا نذكر في هذا السبيل كيف خلقت بعض الأحزاب السياسية خلقاً مصطنعاً في بعض البلدان العربية عندما راجت «موضة» التعدد الحزبي بتقليد أسماء وتوجهات أحزاب قائمة في البلاد الأوروبية ، كأحزاب الخضر واللاتحادية الديموقراطية وغيرها.

كيف نتعامل مع هذه الفكرة؟

هذه الملحوظات الأولية حول طروحات فكرة التعددية في الكتابات العربية المعاصرة ولاسيما العلمانية توجه النظر إلى ضرورة فحص مصدر وأهداف الطرح قبل التعامل معه فكرياً على أنه فكرة بريئة يرد عليها الإسلاميون بأي شكل كان ، فحن كما أسلفت أمام فكرة ظاهرها الانفتاح والتحرر لكنها تصدر عن منابر ارتبطت أشد الارتباط بكل معاني الدكتاتورية والأحادية والهيمنة الاحتكارية ونفي الآخر ، والفكرة تطرح بشكل مناقض لجوهرها حيث تنطوي دائماً على استبعاد الإسلام وحركاته من هذه التعددية الانفتاحية الموعودة بحجة جاهزة هي: أن الإسلام لا يؤمن بالتعددية وبالتالي فلا مكان له فيها وكأن الآخرين الذين أعطوا مكاناً فيها كانوا يؤمنون بها ، وأخيراً تطرح الفكرة لا باعتبار هذا الطرح مبدئاً قابلاً للنقاش العقلي والفلسفي والتوضيح ، بل مجرد سلاح لتشويه الإسلاميين وتحسين صورة العلمانيين ، وهو ما ينعكس في غموض أبعاده ، وفي هذه الحالة ينبغي أن نقف إزاء أهداف تبنّي العلمانيين لهذه الفكرة ضمن منظومة ادعاءاتهم الراهنة ، إذ تكون في هذا فائدة تفوق مجرد التعامل السطحي معها رفضاً أو قبولاً.

يرتبط الحديث كثيراً عن «التعددية» في هذه الفترة ارتباطاً سببياً مباشراً بصعود الفكر والطروحات الإسلامية إلى حد أدهش العلمانيين في العقدين الأخيرين في مقابل إفلاس مذاهبهم وطروحاتهم المختلفة ، لقد حدث انقلاب مدهش في ساحة الفكر والثقافة في المجتمعات العربية حيث أن السيطرة شبه المطلقة التي كانت للعلمانيين (بفضل الالتصاق بالأنظمة الحاكمة) في الخمسينيات وبالذات في الستينيات ، قد تضععت ، ثم انهارت في السبعينيات والثمانينيات ، ومع سقوط الطروحات العلمانية أصبحت النخبة العلمانية عارية أمام الجماهير دون تمويه يخفي حقيقة

عمالتها وتبعيتها لأنظمة هي بدورها عميلة وتابعة للدول الاستعمارية القديمة ، بجانب خيانتها الكبرى لدينها وعروبتها وشعوبها بأساليب الحكم الاستبدادي ، وبدا واضحاً أن الساحة التي شهدت سيطرة العلمانيين الاحتكارية مهياة الآن لاكتساح إسلامي شامل لن تبقى معه آثار تذكر لمذاهب وأفكار العلمانية المتغربة ، في هذه الظروف نشأ فجأة الحديث عن «التعددية» في ذات الأوساط التي كانت قد كرس كل جهودها بدعم من السلطات وأجهزة الأمن والبطش ، لكي تقضي على كل آثار الإسلام وأفكاره قبل ذلك بسنوات. ظهرت فكرة «التعددية» بوضوح لكي تكون مجرد الغطاء والمبرر الذي يسمح بوجود واستمرارية بقايا الأفكار العلمانية المتغربة في وقت بدا للعلمانيين أن التيار الإسلامي الجارف سيجتاحها كلها. نحن إذن نواجه بفكرة وليدة الخوف الطاعني لدى من مارسوا القمع والاستبداد والنفي والاحتكار في أن يستبعدوا وينفوا مع فارق بالطبع هو أنهم مارسوا هذه الأشياء في موقع الأقلية التابعة للخارج والمالية لأنظمة غير شعبية ، بينما الإسلام هو دين وثقافة وحضارة البلاد وعقيدة أغلبية سكانها الساحقة.

التعددية من منظور علماني:

«التعددية» في جوهر طرحها الراهن من جانب العلمانيين لا تعبر عن توجه ديموقراطي مفاجيء ، ولكنها مجرد مناورة فكرية للإلحاح على ضرورة وجود أفكار مغايرة للإسلام في الساحة التي يظنون أن الإسلام بقوة الجماهير سيكتسحها كلها ، ولو أتيحت لهم فرص رد التيار الإسلامي لأسقطوا دعوى «التعددية» تماماً ، وهم بالفعل قد ضمنوا دعاوهم ما يسمح بذلك ، فوسط الحديث عن التعددية في كل مظاهر الحياة نجدهم قد وضعوا الشروط والقيود التي تؤدي حتماً إلى استبعاد الإسلام منها في نهاية المطاف ، أو إعطائه وضع التابع الضعيف داخل إطارها ووسط سائر المذاهب العلمانية.

القضية إذن ، كما هو الحال مع الطروحات الأخرى حول «الاعتراف بالآخر» وما شابهه ، لا تعدو أن تكون «تكتيكاً» دعائياً فكرياً بطرح شعار يضمن البقاء للنفس في حالة صعود «الآخر» (الإسلامي) المكتسح مع إمكانية إسقاط هذا الشعار وتفريغه من مضمونه في حالة تراجع هذا «الآخر». بهذا وحده نستطيع أن نفسر التناقضات الكامنة في الدعوى واللبس والغموض الذي يكتنف أبعادها كما أشرنا في الملحوظات السالفة ، فهي ليست مبدءاً فكرياً متسقاً بل مجرد شعار يستخدم سلاحاً وفي الحقيقة يستخدم باعتباره مناورة شأنه شأن سائر الطروحات العلمانية في هذه الفترة تنفيذاً للدور الذي يؤديه العلمانيون في هذه الفترة في مواجهة الإسلام وحركاته ، وخلاصة المناورة أنه عندما يكون المد العلماني في صعود نسمع حديث الاحتكار والأحادية والنفي والاستبعاد ، وعندما ينهار المد ويتراجع نسمع حديث التعددية والاعتراف بالآخر لضمان موطئ قدم وبقية من وجود لدعاواه دون أن يجتاحها المد الإسلامي المضاد ، ولأنهم يعاملون «التعددية» هذه المعاملة سلاحاً وشعاراً ومناورة ، فلا يبالون بالتناقضات ، بل لا يهتمون بالتوضيح والمناقشة العقلية المتأنية ، وهذه خلفية طرح فكرة «التعددية».

أنحن مع التعددية أم ضدها ، وكيف؟

يصل طرح «التعددية» إلى الفكر الإسلامي عادة في شكلين لا ثالث لهما: الأول هو اتهام مطلوب الرد عليه بأن الإسلام أو الإسلاميين ومعهم في ذلك تاريخ الإسلام لم يعرف التعددية بل كان ضدها على طول الخط ، والثاني هو تحد للإسلام وللإسلاميين ولل فكر الإسلامي بأن يخرجوا بطروحات نظرية وممارسات عملية تثبت أن للتعددية مكانة راسخة عندهم.

طرح «التعددية» إذن يوجه للفكر الإسلامي في شكل اتهام أولاً ، ثم في شكل تحد ثانياً ، أي يوضع الإسلام في موضع دفاعي مما يفرض عليه آليات الدفاع التقليدية وأبرزها محاولة نفي التهمة بأي شكل وإثبات العكس ألا وهو أن الإسلام لا يحتوي على شيء قدر احتوائه على «التعددية» ذلك المبدأ السحري المرغوب فيه! وبالفعل دارت في هذا الإطار مرغمة معظم المعالجات الإسلامية للفكرة بدءاً من تطويع مفهوم «الشورى» لفكرة «التعددية» وانتهاءً كما ذكرنا بالحديث عن المذاهب الفقهية كأحزاب سياسية ، وبدا لمن يتابع هذه الكتابات (الدفاعية والاعتذارية في جوهرها) أن الإسلام ما جاء أو أوحى إلا ليضمن أو يوجد التعددية في كل أشكالها حتى لو كانت هناك مجالات لا توجد فيها ، ويتناسق هذا مع ما عهد في أمثال هذه الكتابات الدفاعية المضطرة إلى نفي التهمة وإثبات العكس ولو بالمبالغة فذلك رأينا من يذهب إلى أن من خصائص الإسلام الاعتراف بالآخر (ونسيان نفسه على ما يبدو!) أو التمكين لمخالفه في الوجود... الخ.

وبصرف النظر عن الكتابات الإسلامية في موضوع التعددية ، التي لم تجد مفرّاً من أن تكون دفاعية اعتذارية بحكم طريقة طرح الفكرة من الجانب الآخر فإن هذه الكتابات تظل تتحدث عن تعددية داخل الإطار الإسلامي مهما كان ذلك الإطار واسعاً ، أو حتى فضفاضاً كما بدا عند بعضهم ، وهذا الوضع للتعددية الفكرية والسياسية والثقافية داخل الإطار الإسلامي لا يعجب من يطرحون الفكرة مهما بدا متسامحاً لأنهم يقصدون في الحقيقة تعددية جذرية أي خارج الإطار الإسلامي ، أو هم يرمون في الحقيقة إلى ثنائية (لا تعددية) تضع الإسلام في ناحية والعلمانية (بمذاهبها الثانوية) المتغربة في الناحية الأخرى. ولهذا فالردود أو المعالجات الإسلامية لموضوع التعددية لا تلقى القبول عند العلمانيين لأنها لا تصل مهما تساهلت ، أو مهما نفت التهمة وقبلت التعددية إلى المفهوم المرجو من طرح الفكرة ، وهو القبول الصريح والاعتراف «بغير الإسلامي» و «بالمعادي للإسلام» طرفاً مساوياً وشريكاً قوياً مؤثراً في ثنائية تنظيم سائر المجتمعات الإسلامية ، بل والقبول بأن تكون لهذا الطرف حجية الحكم والتوجيه والسيطرة ، ولعل في هذا الهدف الأخير ما يفسر الإلحاح العلماني في الآونة الأخيرة على فكرة تتواكب مع «التعددية» وهي «تداول السلطة» حيث يدور التركيز على ضرورة أن يقدم الإسلاميون التعهدات القاطعة والمضمونة بأنهم لن يصلوا إلى الحكم ، أو بالأدق إلى مواقع القرار والتوجيه في المجتمعات إلا من خلال انتخابات شعبية (وهذا ما لم يفعله العلمانيون أبداً بل جاءوا عن طريق الانقلاب والدعم الخارجي) ، وأنهم لن يحتكروا السلطة أبداً بل سيتبادلونها مع الاتجاهات الأخرى (وهذا أيضاً ما لم يفعله العلمانيون مطلقاً مع الإسلاميين) ، وهذا الحديث عن تداول أو بالأصح تبادل السلطة بين طرفي الثنائية يوحي بأن الإسلام دين الأغلبية سيوضع على قدم المساواة (إن لم يكن أدنى بكثير) مع فئات نخبة الأقلية الضئيلة التي لا تعيش إلا بحبل من الأنظمة وحبل من القوى الخارجية.

المقولات الإسلامية إذن حول القبول بالتعددية إما داخل الإطار الإسلامي أو خارج هذا الإطار في مجتمعات ودول وعقائد أخرى ، لن تحظى بالإعجاب من جانب دعاة «التعددية» ، وهم كذلك لن يستسيغوا القبول الإسلامي بأديان ومذاهب مخالفة داخل إطار المجتمعات والدول الإسلامية مادام الإسلام مهيمناً عليها ، لأنهم كما أسلفنا يريدون تعددية أو ثنائية جذرية يكون فيها لمذاهب العلمانية المتغربة وجوداً مؤسساً ومهيمناً ، أو على الأقل تبادلياً مع الإسلام في البلاد الإسلامية ، ولا يكون متضمناً داخل الإطار الفكري ولا نقول العقدي الإسلامي. القبول الإسلامي بالتعددية مهما كان متسامحاً وواسع المدى لن يصادف هوى أصحاب الدعوة الراهنة العالي صوتها لأنه لا يوافق جوهر وهدف طرحهم ، ألا وهو الأحادية العلمانية المتسرבלة زيفاً في ثياب طلب التعددية ، والحق أن الموقف العلماني الحقيقي من موضوع التعددية يطابق الموقف الإسلامي الذي يهاجمونه وإن من

الناحية المضادة فهم إن سمحوا بالتعددية وهو ما يشك فيه كثيراً فإن ذلك يكون بين مذاهب فرعية داخل المذهب الأم أنواع مختلفة من الليبرالية داخل الإطار الليبرالي الأعم ، أو أنماط من الفكر الماركسي داخل المذهب الشيوعي المادي الأوسع.. الخ ، أو يكون على أبعد تقدير بين عدة مذاهب وتوجهات تشترك كلها في الأساس العلماني المتغرب ، وتجد فيه قاسمها المشترك الأكبر ، ومبررها الفلسفي وعلى هذا فإذا كان الموقف الإسلامي يرى أن تعدد الأفكار والتوجهات يجوز داخل إطار أعم وأقوى ، فهو لا يقدم شيئاً شاذاً كما يصور العلمانيون بل هو نفس موقفهم ، تعدديتهم إذن في أحسن حالاتها وأكثرها تحملاً لا تختلف عن التعددية التي ينادي بها بعض الإسلاميين في المقابل ، فلماذا إذن يستمر الهجوم الحاد على الإسلام بدعوى رفض التعددية وتشعب الأفكار والرؤى؟ وهذا المفهوم للتعددية عندهم يقتصر فقط على داخل الصف العلماني ، أما خارجه ، فهناك أحادية صارمة تنفي الضد الإسلامي وتعاديه.

التعددية وتقلب المعنى:

الصورة الحقيقية التي ينبغي على الفكر المسلم أن يعيها هو أننا إزاء طرح متقلب متعدد المستويات في هذا الموضوع ، فنحن أمام دعاية ملحة حول «التعددية» لكننا إذا تفحصناها وجدناها «تعددية» مقيدة ومشروطة ومحدودة داخل تفرعات مذهب أو إطار واحد مسيطر العلمانية الوافدة ثم نجدها في هدف الطرح «ثنائية» جذرية عندما نتبين معناها في المجتمع المسلم ، ولكننا في الممارسة الواقعية العملية نجدها «أحادية» صارمة وشرسة في نفيها واستبعادها «للآخر» الإسلامي ، ورفضها لكل طروحاته وإصرارها على إخضاع الإسلام (بآليات التطوير والتطويع والعلمنة والتغريب) داخل النمط اللاديني والنسق التغريبي. «التعددية» هي ورقة الدعاية «والثنائية» هي الهدف المنشود لإثبات وحفظ الوجود داخل المجتمعات الإسلامية في ظل صعود التيار الإسلامي ، أما «الأحادية» فهي الواقع والممارسة والهدف النهائي ، ولكن الفكر الإسلامي يتعامل حتى الآن مع الشعار فقط ، وعلى مستواه السطحي دون الاختراق إلى الأهداف والغايات وواقع الممارسة والفعل وخلفية التاريخ والأصول الفكرية النظرية ، ولذلك فإن الطرح الإسلامي المضاد الداعي للقبول بالتعددية لا يجد القبول عند أصحاب الدعوى التعددية رغم أنه كان ينبغي أن يرضيهم لو كانت النوايا صحيحة وسليمة ، ذلك لأنهم لا يقنعون برد يجابههم على مستوى الشعار ، لأن الشعار عندهم هو مجرد القناع الظاهري الذي يخفي حقيقة «الثنائية» و «الأحادية» ، ومهما حاول الإسلاميون مواجهة الشعار برفض التهمة وقبول التحدي ، فلن يرضى العلمانيون لسبب بسيط هو أن قبول المسلمين بالتعددية أيما كانت أبعاده يناقض استمرار توجيه التهمة ضدهم لأسباب دعائية ويحرم العلمانيين من عريضة اتهام رابحة وورقة تشويه جيدة ، كما أن هذا القبول الإسلامي لا يتمشى ، ولا يعني حقيقة «الثنائية» و «الأحادية» الكامنة وراء شعار «التعددية» كما أراده رافعه.

ولست بذلك أدعو للكف عن الطرح الإسلامي والتعاطي في مسألة «التعددية» في شكل نفي التهمة وإثبات الموقف الصحيح ، حتى لو اقتصر ذلك في الوقت الراهن على التعامل على مستوى الشعور ، وحتى لو اقترن ببعض التعسف في التخريج والتنظير ، فهذا الأمر مطلوب إبراء للذمة وتوضيحاً لمواقف الإسلام في وجه الشبهات المثارة والتي قد تنطلي على من لا يعلمون. ولكن هذا الطرح ينبغي كذلك أن يتجاوز مستوى طرح «التعددية» باعتبارها شعاراً ، ليتعامل مع مستويات الدعوى المختلفة التي ألمحنا إليها فيما سبق وفوق ذلك ينبغي على هذا الطرح الإسلامي للقضية أن يتجاوز مستوى الردود الدفاعية ليناقد المشكلة برمتها مناقشة واعية متأنية متدبرة ، وهو ما لا نجده عند طروحات العلمانيين التي تتسم كما قلنا في بداية المقال بالانفعالية والتشنج.

أسئلة تحتاج إلى أجوبة:

إن هناك أسئلة تحيط بفكرة «التعددية» لا تجد إجابة في الطرح العلماني لكنها تبقى ملحة على ضوء الطروحات لتحقيق خير أكبر وأعم ، شأنها في ذلك شأن «الديموقراطية»؟ أي هل «التعددية» هي هدف نهائي يتحتم على المجتمع أن يصل إليه ، أم أنها أسلوب قد يطبق في مواقف معينة للتعرف على أفضل الآراء والاتجاهات ، ولتحقيق أنجع أداء في مجال معين؟ وهل نقف عند التعددية في المواقف والاتجاهات والآراء كأمر حتمي ، أم أننا نسعى إلى تجاوز ذلك صوب رأي محدد واحد لاسيما إذا أدى هذا التعدد والتشعب إلى التشتت والتمزق بل والصراع؟ وعلى أي مستوى يكون طلب التعددية وتكريسها وفي أي مجال؟ هل هي في مجالات الاقتصاد والإنتاج والعلوم أم في مجالات القيم والأخلاق والعقائد؟ ولماذا تضيء على «التعددية» في حد ذاتها قيمة مطلقة بحيث تصبح خيراً محضاً في جوهرها وفي مجرد وجودها ، بينما يصبح توحيد الرأي (حتى ولو كان أمراً طبيعياً نابعاً من الموقف دون قسر) أمراً مستقبلاً في ذاته ومرتبئاً بالديكتاتورية أو الفقر الفكري؟ وهل يصبح هذا التصور في كل المواقف أي هل ينطبق في المواقف الاقتصادية الإنتاجية مثلاً كما ينطبق على المواقف العقائدية؟ ثم هناك السؤال الأهم: هل طرحت «التعددية» باعتبارها قضية لمجرد التقليد لأن الغرب قد طرحها في السنوات الأخيرة داخل مجتمعاته لظروف وأسباب مختلفة؟

منطلقات التعددية العالمية:

إن طرح مسألة «التعددية» جرى في بعض بلاد أوروبا الشرقية وما يسمى بالعالم الثالث مؤخراً على المستوى السياسي البحث ، طلباً لتعدد الأحزاب السياسية في مجتمعات ظلت عقوداً طويلة لا تعرف سوى نظام الحزب الواحد. ولكن في بلد غربي رائد ومؤثر كأمريكا طرحت المسألة في سياق اجتماعي ثقافي سلوكي مع ارتفاع صوت فئات متعددة عرقية (الزنج و ذوي الأصل الأمريكي الجنوبي والآسيوي) ولغوية (أسبانية) وسلوكية (جماعات ما يسمى بتحرر المرأة وحقوق الشواذ وأنصار البيئة و «الأصولية المسيحية») ، لتطالب بوجود متوسع ، ونفوذ قوي لها داخل المجتمع الواحد ، وهنا اتخذت قضية التعددية أبعادها المحددة التي وصلت إلى حد التبشير بالتعددية في أنماط الزي والطعام والسلوك الشخصي، لكنها لم تصل إلى إسقاط الإطار الموحد العام الذي يربط أشتات المجتمع الأمريكي ، فهذه التعددية مثلاً لم تتسع أو تشمل دعاة إقامة مجتمع ديني «أصولي» ، ولا دعاة إقامة نظام نازي مما يسمى باليمين الجديد المتطرف.

والحديث عن «التعددية» في بعض بلدان أوروبا الغربية كفرنسا وألمانيا وإلى حد أقل إنجلترا ، بدأ فقط تحت ضغط وجود تجمعات كبيرة ومتزايدة من المهاجرين الأجانب ، مما فتح احتمال الثنائيات بل والتعدديات اللغوية والعرقية والدينية (وأبرزها الإسلام) داخل البلد الواحد ، لكن مفهوم التعددية في هذه البلدان جرى تحجيمه في الحال ، بحيث أصبح على أحسن الأحوال لا يتجاوز مجرد السماح لبعض هذه الفئات بحقوق محدودة ، للتعبير وبيع بعض الخدمات الاجتماعية مع كف أذى أصحاب البلاد عنها.

الخلاصة:

من الواضح أن أنماط طروح التعددية هذه تخالف تماماً النمط الذي طرحه العلمانيون في البلاد العربية ، والمخالفة في الشكل واضحة ، لكنها أوضح ما تكون في الغرض والهدف من الدعوة كما ظهر مما سبق ، ويجب على الفكر الإسلامي أن يضع هذه الفروق الجوهرية في الاعتبار عند تصديه لمناقشة هذه الفكرة ، لكن «التعددية» في طرحها المحلي تبقى كما أسلفنا «تكتيكاً» فكرياً دعائياً يحقق أهدافاً متعددة أبرزها كسب المشروعية للفكر العلماني الوافد والاحتفاظ له بمكانة مقننة داخل المجتمعات الإسلامية في وجه صعود الالتزام بالإسلام ، ثم الهجوم الدعائي على

الفكر الإسلامي وتشويه صورته وإشغاله بالدفاع الاعتذاري عن النفس ، مع تحسين صورة النخبة العلمانية الساقطة وإضفاء طابع الحرية والانفتاح عليها ، وهو أبعد ما يكون عن حقيقتها.

إصدارات

من مكتبة «البيان»

* اليهودية والماسونية: لمؤلفه الشيخ العلامة/ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله، يقع الكتاب في (١٨٤) صفحة ، وضع فيه مؤلفه دعاوى اليهود بأحقيتهم التاريخية في أرض فلسطين ، كما كشف عن جوانب من مكر اليهود على النصرانية وعلى الإسلام ، وسعيهم الحثيث للتحكم في شؤون العالم وخيراته عن طريق إنشاء الحركات والمنظمات المشبوهة كالماسونية ، كما فضح في جزء من الكتاب بعض الشخصيات والدعوات التي صنعها اليهود وربوها ، وختم كتابه بالحديث عن الأسلحة التي انتصروا بها ، والأمور التي يجب أن ننطلق منها لمواجهة دويلتهم في المنطقة «إسرائيل» ، والكتاب من نشر دار السنة للنشر والتوزيع بالخبر.

* الخشوع في الصلاة: لمؤلفه/ محمد عز الدين توفيق ، يقع الكتاب في ١٠٢ صفحة من القطع المتوسط ، يتحدث فيه مؤلفه عن الأسباب الداعية للخشوع في الصلاة والطرق الموصلة إليه ، والكتاب يحمل الرقم (٣) من سلسلة المعالم الصادرة عن دار النشر الدولي بالرياض.

* بدائع التفسير: الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع وتخريج/ يُسري السيد محمد ، يقع الكتاب في خمسة مجلدات ، وقام فيه جامعته بتتبع كلام ابن القيم في التفسير من خلال كتبه المختلفة وترتيبها حسب ترتيب سور وآيات المصحف الشريف ، والكتاب من نشر دار ابن القيم بالدمام.

* ظاهرة النفاق خبائث المنافقين في التاريخ : لمؤلفه/ عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني ، يقع الكتاب في مجلدين ، وقد تحدث فيه مؤلفه عن تعريف النفاق والمنافقين ، وقام بدراسة شاملة للنصوص القرآنية في النفاق والمنافقين ، كما قام بنظرة استعراضية للمنافقين عبر التاريخ ، والكتاب يحمل الرقم (٧) من سلسلة أعداء الإسلام ، وهو من نشر دار القلم بدمشق.

* دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة : للكاتب الناقد/ محمد حسن بريغش ، وهو كتاب جديد عن القصة الإسلامية المعاصرة تناول الكاتب فيه عدداً من القصص بالتحليل والنقد، ويضم الكتاب أربعة فصول: الأول يتحدث عن ملامح القصة الإسلامية الحديثة ، وفي الثاني يعرض لسبع قصص من إنتاج الدكتور نجيب الكيلاني ، فيحللها وينقدها من خلال رؤية إسلامية لهذا الفن القصصي ، وهذه القصص التي عرضت في هذا الفصل تمثل ثلاثة عقود من تطور الكيلاني وإنتاجه. وفي

الفصل الثالث عرض الكاتب آخر إنتاج الكيلاني ، متمثلاً في المجموعة القصصية (الكابوس) ورواية (ملكة العنب) ، وانتهى إلى أن هذه القصص مع ثلاث قصص أخرى تعد نقلة مهمة ومرحلة جديدة في مسيرة الدكتور الكيلاني الأدبية، ومسيرة القصة الإسلامية المعاصرة ، وفي الفصل الرابع حلل المؤلف كتاب الدكتور نجيب الكيلاني عن المسرح الإسلامي ، وتوقف عن العديد من الآراء والنظريات المطروحة في هذا الكتاب ، والكتاب نقد تطبيقي من خلال رؤية إسلامية تحاول ترسيخ قواعد للنقد الإسلامي وتحديد ملامح هذا الفن عبر التجارب الأدبية ، والإبداع الجديد ، بعد أن كثر

الحديث عن النظرية والملاحق بعيداً عن المجال التطبيقي

@من ثمار المنتدى أنشطة المنتدى الإسلامي

التحرير

سبق الحديث عن بعض مشاريع «المنتدى الإسلامي» مثل: «كفالة الدعاة، وبرنامج شهر رمضان الماضي، ومشروع مكافحة العمى بدولة تشاد، والدورات والملتقيات العلمية للمنتدى، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم»، وفي هذا العدد نواصل الحديث عن مزيد من المشاريع كما يلي:

سادساً مشروع مكتبة إسلامية:

الكتاب الإسلامي له دور كبير في نشر الوعي العلمي، ونشر العقيدة الصحيحة بين أبناء المسلمين، ويفتقر الكثيرون إلى الكتاب الإسلامي افتقاراً شديداً، وهو لا يوجد في الغالب إلا بأيدي الطلاب الخريجين من الجامعات الإسلامية، أما عامة الدعاة وطلاب العلم فلا يجدون المراجع الإسلامية التي يحتاجون إليها في معرفة عقائد الإسلام، والعبادات والمعاملات الشرعية. وفي المقابل ينتشر الكتاب الصوفي بين أيدي الناس، فكتب المدائح النبوية والأوراد الصوفية متداولة بشكل واسع.

ومن أجل ذلك يسعى المنتدى الإسلامي إلى تجهيز مكتبات إسلامية عامة تحتوي على المراجع العلمية الأساسية في مختلف العلوم الإسلامية، وذلك لتقريب العلم بين أيدي الدعاة وتسهيل الوصول إلى المعارف الشرعية الأصلية.

وقد أعدت اللجنة العلمية بالمنتدى ثلاثة نماذج للمكتبات العلمية:

الأول: مكتبة إسلامية كبيرة: توضع في المدن الرئيسية وفي أماكن التجمع الكبيرة للدعاة.

الثاني: مكتبة إسلامية متوسطة: توضع في المدن الصغيرة والجوامع.

الثالث: مكتبة إسلامية صغيرة: توضع في المساجد والمدارس.

وتم انتقاء الكتب بناء على الاحتياجات الأساسية للدعاة في كثير من البلاد، وعرضت قوائم الكتب

على عدد من العلماء وطلاب العلم لإبداء الرأي وإعطاء المشورة، فأوا مناسبة.

ويعين المنتدى الإسلامي مشرفاً على كل مكتبة من هذه المكتبات للحفاظ على المكتبة من جهة، ولإعانة القراء وإرشادهم من جهة أخرى.

تكلفة المكتبة الكبيرة: ١٢٠٠٠ دولار

تكلفة المكتبة المتوسطة: ٣٥٠٠ دولار

تكلفة المكتبة الصغيرة: ١٧٥٠ دولار

وتشمل التكلفة: قيمة الكتب، ومتوسط قيمة الشحن، وإيجار المقر لمدة سنة وتأثيثه.

سابعاً مكتبة طالب علم:

العلم الشرعي مطلب مهم من المطالب التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية قال الله تعالى: ((فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك))، فبدأ بالعلم قبل العمل، وقد سن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه السنة وأمر بها جميع أتباعه، قال الله تعالى: ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)).

فالعلم الصحيح هو الذي ينير الطريق أمام الداعية، فلا يدعو الناس إلا بمقتضى الحجة والبرهان، وذلك يعينه في معرفة أدواء الناس ومشكلاتهم، ثم يستطيع بعد ذلك أن يرتب الأولويات التي يبدأ بها بناءً على ذلك.

ويحرص المنتدى الإسلامي على تعيين الدعاة الذين يتوسم فيهم الخير والصلاح ، مع صفاء العقيدة وحسن السلوك ، والعلم هو جماع ذلك كله ولكن بسبب الضعف العام الذي يعانيه كثير من الدعاة في أفريقيا وغيرها لغياب العلماء وقلة المراجع العلمية لزم تنمية قدرات الدعاة العلمية ، ورفع مستوياتهم الثقافية ، ومن أجل ذلك يقدم المنتدى الإسلامي برامج متنوعة لهم منها: توفير مكتبة منتخبة لكل داعية من دعائه التابعين له، بالإضافة إلى بعض الدعاة الذين يتوسم فيهم الخير والصلاح والجدية ، وقد راعينا في اختيار هذه المكتبة عوامل مختلفة منها:

- ١- أن تكون هذه المكتبة شاملة لمعظم أبواب العلم ، جامعة لأهم الأصول التي يحتاج إليها الدعاة.
 - ٢- أن تلائم الاحتياجات الدعوية في المنطقة.
 - ٣- أن تكون سهلة العبارة سلسلة العرض.
- ولكي يكون الاختيار أكثر دقة وأبلغ فائدة وضعنا قائمتين: الأولى للدعاة الجامعيين، والثانية للدعاة غير الجامعيين.

وقد تم عرضهما على عدد من العلماء الفضلاء للاستفادة من توجيهاتهم وملحوظاتهم ، وإليك بيانهما:

أولاً دعاة غير جامعيين:

- ١- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.
- ٢- أعلام السنة المنشورة (للحكي).
- ٣- تفسير السعدي.
- ٤- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (للبنام).
- ٥- صفة صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم- (للألباني).
- ٦- الرحيق المختوم (للمبار كفوري).
- ٧- مختصر منهاج القاصدين (للقاسمي).
- ٨- فضائح الصوفية (لعبد الرحمن عبدالخالق).

ثانياً دعاة جامعيون:

- ١- شرح العقيدة الواسطية (للرشيد).
- ٢- أعلام السنة المنشورة (للحكي).
- ٣- فتح رب البرية بتلخيص الحموية (لابن عثيمين).
- ٤- تفسير السعدي.
- ٥- فقه السنة (لسيد سابق).
- ٦- تمام المنة في تخريج أحاديث فقه السنة (الألباني).
- ٧- الرحيق المختوم (للمبار كفوري).
- ٨- معالم الانطلاقة الكبرى (محمد عبدالهادي المصري).
- ٩- أصول الدعوة (لعبد الكريم زيدان).
- ١٠- تهذيب مدارج السالكين (لابن القيم / العزي).
- ١١- الموجز في الفرق والأديان (العقل والقفاري).

تكلفة مكتبة طالب علم (مع الشحن):

أولاً: مكتبة طالب علم غير جامعي: ٥٠ دولار
ثانياً: مكتبة طالب علم جامعي: ٦٠ دولار.

الورقة الأخيرة

ثمن الكرسي

أحمد العويمر

في كل دول الدنيا، يرشح الوزير لمؤهلاته العلمية، ولتجربته العملية ليتمكن من إداء رسالته على الوجه المطلوب، انطلاقاً من إيمانه بالأيدلوجية العقدية والفكرية التي تدين بها أمته، غير أن جل ديار العرب والمسلمين في هذا الزمان عندما يرشح الوزير فيها إنما يعود أمر ترشيحه إما لصلة حزبية أو لنزعة عشائرية أو لصداقة خاصة أو لترشيح الحزب ذي الأغلبية، فهي في الغالب معايير لا تمت للعلمية بصلة ولا للمعرفة العملية بأي رابطة.

ولذلك ستكون عطاءات وزارة (سعادته) إن وجدت راجعة في الغالب على ما بناه سابقه، وقد يتهور بنصيحة بعض المستشارين إياهم فيهدم ما بناه سلفه وتعود الأمور «حيص بيص»، وفي النهاية إما أن يقال الوزير أو تقال الوزارة لفشلهما في أداء ما هو مناط بهما من مهام. وفي أثناء ممارسة سعادته لمهام وزارته فإن عليه شروطاً يلزمه أن ينفذها ثمناً لبقائه في الكرسي، ومنها:

* الثناء المنقطع النظير للمعطيات التي جاء بها الزعيم الهمام والتي انتشل بها البلاد وساهم في تطورها والتي لم يأت بها سواه، وتلك المعطيات سيستمر المديح لها حتى ولو لم يرها الشعب.
* الدعوة لإعادة ترشيح الزعيم لأن البلد لم تتجب مثله ولن تتجب غيره وعليه البقاء في الحكم حتى تقبض روحه أو أن يطاح به.
* الدعوة بمناسبة وبغير مناسبة لعلمنة المجتمع: ليس بفصل الدين عن السياسة، وإنما لفصل الدين عن الحياة.

* المعارضون في نظره ليسو سوى شلل وغوغاء لا يعرفون (ألف باء) السياسة، ولو أتيح لهم المجال لأودوا بالبلاد إلى الخراب والدمار وعليهم أن يعيشوا على هامش الحياة إن لم يكونوا في غياهب السجون إن لم يكونوا على أعواد المشانق.
* أن أسلمة المجتمع تخلف ورجعية وأن الدعاة لذلك متطرفون وإرهابيون وأن على المجتمع وفاته أن يعيشوا حياة ليبرالية لا تقيم لثوابت الدين أي احترام، بل وعلى الحكومة أن تتخذ من البرامج والخطط ما يجفف منابع الإسلام خوفاً من نشوء الفتنة الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى. إن لم يؤمن الوزير بهذه «الأفكار المتطرفة» ويعمل جاهداً على تنفيذها فإن بقاءه في كرسيه مشكوك فيه.

قولوا لي بربكم: هل هذه الأفكار أساليب عمار أم أساليب دمار؟ وهل أولئك الذين يدعون لتلك السياسات الخرقاء بناء أم هدامون؟ وهل هم مسلمون حقاً أم أنهم أدياء ومنافقون لأنهم لا يقيمون للدين وزناً؟ وهل تستطيع مثل تلك الدول أن تسير إلى الأمام أم ستسير إلى الهاوية؟ قاتل الله اليهود فتلك مخططاتهم، وقاتل الله من سار على نهجهم ما أجهلهم، والله نسأل أن يرى العاملين للحق ما تقر به العيون وما تصلح به الأحوال، رغم كل المعوقات، وأن يخزي أعداء الإسلام وأن يريهم نهايات باطلهم المحتومة.
(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)).

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين